

ديوان رسالة الشرق

تأليف

ببام مشرق

نقله إلى العربية

الدكتور عبد الوهاب عزام

الناشر

مكتبة نوافل الفكر

الطبعة الاولى
1434 هـ - 2013
حقوق الطبع محفوظة للناسر
شركة نوابغ الفكر

هاتف: 25936402 ، فاكس: 27865553

E-mail: nawabgh_elfekr@hotmail.com

بطاقة التهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

مشرق ، بيام
ديوان رسالة الشرق / بيام مشرق ، نقلة الى العربية : عبد الوهاب عزام
ط 1 - القاهرة : شركة نوابغ الفكر ، 2013
ص ، 24 مسم
تدمك : 978-977-6415-12-6
1- الشعر الفارسي
ا- عزام ، عبد الوهاب (مترجم)
ب- العنوان

ديوى : 891,55

رقم الابداع : 2013/1614

محتوى الديوان

يشتمل هذا الديوان على هذه الأقسام:

القسم الأول: شقائق الطور، وهي رباعيات.

القسم الثاني: الأفكار، وهي إحدى وخمسون قطعة وقصيدة.

القسم الثالث: الخمر الباقية، وهي قصائد صوفية، رمزية من الضرب الذي يسمى في اصطلاح الأدب الفارسي والأردوي غزلاً، وهو غير الاصطلاح العربي، وعدد الغزليات في هذا القسم خمس وأربعون.

القسم الرابع: نقش الفرنج، وهي أربع وعشرون قطعة وقصيدة، يذكر فيها الشاعر بغض شعراء أوربة وفلاسفتهم، وينقد مذاهبهم وآراءهم، فيقبل منها ويرد.

القسم الخامس: الدقائق، وهي قطع صغيرة، وأبيات مفردة ألحقها الشاعر بهذا الديوان. وقد ترجم هذا الديوان بكامله إلى العربية شعراً الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام، هو يقدم إليك الآن مع مقدمة الشاعر.

مقدمة محمد إقبال^(١)

لديوان «رسالة الشرق»

نظمتُ بياضَ مشرقٍ لأجيب به الديوان الغربي لفيلسوف الحياة الألماني
جوته الذي يقول فيه الشاعر الألماني الإسرائيلي هاينا:

«هذه باقةٌ من العقائد يرسلها المغرب إلى المشرق، ويتبين من هذا
الديوان أن المغرب ضاق بروحانيته الضعيفة الباردة فتطلع إلى الاقتباس
من صدر المشرق».

ما المؤثرات وما الأحوال التي كتب فيها جوته هذه المجموعة من
الأشعار التي هي أحسن آثاره، والتي سماها هو باسم «الديوان».

لا بد للإجابة عن هذا السؤال أن نبين إجمالاً هذا التأثير الذي سمي
في تاريخ الأدب الألماني التأثير الشرقي. وددت أن أفصّل في هذه
المقدمة الكلام في هذا التأثير، ولكن المراجع الكثيرة التي يحتاج إليها في
هذا البحث لم تتيسر في الهند. وقد بين بال هورن مؤلف تاريخ آداب
إيران في مقال له مقدار ما كان جوته مديناً لشعراء الفرس. ولكن العدد
المشتمل على هذا المقال من مجله نارو أندسود لم يمكن الحصول عليه
في خزانة كتب في الهند، ولا من ألمانيا. فلا مناص من أن أعتمد في

(١) كتبها محمد إقبال بالأردوية، ونقلها إلى العربية خلال ترجمة هذا الديوان الأستاذ الدكتور عبد
الوهاب عزام.

كتابة هذه المقدمة على ما أذكر من دراستي السابقة. وعلى الرسالة المختصرة المفيدة البارة التي كتبها في هذا الموضوع مستر «شارلس ريتي». كانت طبيعة جوته المتطلعة تميل منذ الحداثة نحو الأفكار الشرقية، وفي استراسبورج حيث كان يتعلم القانون لقي هردر ذا المكانة والصيت في الأدب الألماني. ويعترف جوته في سوانحه بما تركت صحبة هردر في نفسه.

لم يكن هردر يعرف الفارسية، ولكن لغلبة النزعة الأخلاقية عليه كان لكتب سعدى أثر بليغ في نفسه حتى ترجم بعض فصول كلستان إلى اللغة الألمانية. ولم يكن لحافظ الشيرازي هذه المكانة عنده، وهو يقول داعياً معاصريه: قد غنينا كثيراً على أسلوب حافظ وقد وجب الآن أن نقبضي بسعدى. ولكن مع حب هردر الآداب الشرقية هذا الحب لا يعرف في شعره أو مؤلفاته الأخرى أثر من هذه الآداب. وكذلك كان شلر معاصر جوته الثاني بعيداً عن تأثير الشرقيين. وقد مات قبل ظهور التأثير الشرقي، وينبغي ألا نغفل عن هذه المسألة: إن قصته «ثوران دخت» أخذت خطتها من قصة بنت سلطان الإقليم الرابع التي كتبها نظامي الكنجوي في «هفت بيكر» واستهلها بقوله:

كفت كز جملة ولایت روس

بود شهري بنیکوئی جو عروس

وسنة ١٨١٢ نشر فون همر ترجمة كاملة لديوان حافظ، وبهذه الترجمة ابتدأ التأثير الشرقي في آداب الألمان. وكان عُمر جوته إذ ذاك خمساً وستين سنة. وكان هذا على حين بلغ انحطاط الألمان غايته في كل ناحية.

لم تكن طبيعة جوته مهياة للمشاركة عملاً في الحركات السياسية في وطنه، فلما ضاق بالاضطراب الشائع في أوروبا أخذت روحه القلقة المحلقة تلتمس عشاء في فضاء الشرق الساكن الآمن.

وقد أثارت أناشيد حافظ هياجاً كبيراً في أفكاره، فاختار آخر الأمر «للديوان الغربي» صورة متميز ثابتة، ولكن ترجمة فون همر لم تكن مؤثرة في جوته فحسب، بل كانت مأخذاً لخيالاته العجيبة الغريبة، فيبدو نظمه أحياناً كأنه ترجمة حرة من شعر حافظ، وأحياناً تجد قوة تخيله في مصرع واحد مهيعاً جديداً تثير فيه مسائل في الحياة بالغلة في الدقة والصعوبة.

يقول بيل شوسكي كاتب سوانج جوته المعروف:

كان جوته يرى صورته في نغمات بلبل شيراز، وكان يخطر له بين الحين والحين أن روحه لبست صورة حافظ، فعاشت في بلاد الشرق. فنحن نجده شبيه حافظ في ذلك الشرور الأرضي، وتلك المحبة السماوية، وذلك اليسر، وذلك العمق، وذلك الغليان والتوقد، وتلك السعة في المذهب، وهذا الثور القلبي، وذلك التحزُّر من الرسوم والقيود. بل في كل أمر حافظ، لسان الغيب، وترجمان الأسرار، وكذلك جوته. ولحافظ عالم من المعاني في ألفاظ بسيطة في ظاهرها، وكذلك في طريقة جوته المطبوعة تتجلى الحقائق والأسرار، وكلاهما نال إعجاب الأمير والصعلوك، وكلاهما أثر في فاتحي عصره العظام «يعني حافظ في تيمور،

وجوته في نبولين»^(١) وكلاهما في عصر اضطراب عام وخراب، حافظ على السكون والطمأنينة في قلبه مبتهجاً بالمضي في ترنمه القديم.

ثم جوته مدين في أفكاره لغير حافظ: للشيخ عطار، وسعدي، والفردوسي، وللأدب الإسلامي عامة. فقد كتب في بعض المواضع غزلاً في قيود القافية والرديف، وهو يستعمل في لغته استعارات فارسية بغير تكلف مثل: جوهر الأشعار، وسهام الأهداب، والطرة المعقودة، بل هو في فورة الفارسية لا يحترز من الإشارة إلى الولوع بالمرد. ثم أسماء أقسام الديوان فارسية كذلك مثل «مغنى نامه - ساقى نامه - عشق نامه - تيمور نامه - حكمت نامه، وغيرها» ومع هذا كله فليس هو مقلداً أي شاعر فارسي. فطرته الشعرية حرّة ولا ريب. وإنما غناؤه في مروج الشقائق المشرقية عرضي محض. وهو لا يفرط في غريبته، وإنما يقع بصره وحده على الحقائق الشرقية التي تلائم فطرته الغريبة. ولم يمل إلى التصوف العجمي قط. وكان يعلم أن أشعار حافظ تفسر في المشرق تفسيراً صوفياً، ولكنه لم يكلف إلا بالغزل محضاً، ولم يهتم بالتفسير الصوفي في كلام حافظ أي اهتمام.

(١) لا تصح رواية التقاء حافظ وتيمور فقد توفي الشاعر قبل أن يفتح تيمور شيراز.

وكانت معارف مولانا الرومي وحقائقه الفلسفية مبهمّةٌ عنده. لا يمكن أن ينكر الرومي رجلٌ مدح سبنوزا (فيلسوف هولندي كان يقول بوحدة الوجود) وأعمل قلمه في الدفاع عن برونو (فيلسوف إيطالي وجودي)^(١).
والخلاصة أن جوته في الديوان المغربي اجتهد في إظهار الروح العجمية في الأدب الألماني.

وقد أكمل الأثر الشرقي الذي بدأ في ديوان جوته الشعراء الذين جاءوا بعده: بلاتن، وروكرت، وبودن ستات.

فأما بلاتن؛ فقد تعلم الفارسية لمقاصد أدبية، ونظم غزلاً في القافية المردوفة، بل في العروض الفارسي، ونظم رباعيات، ونظم قصيدة في نبوليون. واستعمل الاستعارات الفارسية بغير تكلفٍ مثل جوته: عروس الورد، والطرة المسكية، وشقائق العذار. وهو مولع بالتغزل المحض كذلك.

وأما روكرت؛ فكان ماهراً في الألسنة الثلاثة: العربية، والفارسية، والسنسكريتية. وكان لفلسفة الرومي مكانةً عظيمةً في رأيه. وتأثير مولی

(١) يعني أن الرومي كان من القائلين بوحدة الوجود، فلو عرفه جوته لعني به، كما عني بهلين الفيلسوفين.

الروم فيما كتب من غزل كان أوضح، وكانت مصادره من الأشعار الشرقية أوسع بما عرف من لغات الشرق.

وقد التقط لآلئ الحكمة من مخزن الأسرار لنظامي، وبهارستان جامي، وكلييات أمير خسرو، وكلستان سعدي، ومناقب العارفين، وعيار دانش، ومنطق الطير، وهفت قلزم، بل زين كلامه بقصص وروايات إيرانية ترجع إلى ما قبل الإسلام. وقد أحسن نظم بعض واقعات التاريخ الإسلامي وأشخاصه مثل موت محمود الغزنوي، وغزو محمود سومنات، والسلطنة رضية^(١) وموضوعات أخرى.

وأكثر شعراء الأسلوب الشرقي قبولاً بعد جوته: بودن ستات؛ الذي نشر منظومات بالاسم المستعار «مرزا شفيح»، وقد لقيت هذه المجموعة الصغيرة من القبول ما اقتضى طبعها مئة وأربعين مرة في مدة قصيرة. أحسن هذا الشاعر تصوير الروح العجمية حتى بقي الناس في ألمانيا زمناً طويلاً يحسبون أشعار مرزا شفيح ترجمة شعر فارسي.

وقد استفاد بودن ستات من أمير معزي، وأنوري كذلك.

ولم أرد أن أذكر في هذا الصدد هاينا معاصر جوته المشهور، إذ لم يكن في الجملة ذا صلة بالتأثير الشرقي، ولم يهتم بما اقتبس شعراء ألمانيا من الشعر الشرقي إلا ديوان جوته، على أن الأثر العجمي بين في مجموعته المسماة «الأشعار الجديدة» وقد أجاد جداً في نظم قصة

(١) من دولة المماليك التي قامت في دلهي.

محمود، والفردوسي، ولكن قلب هذا الشاعر الألماني الحر لم يستطع
الإفلات من شرك سحر العجم، حتى لقد تصور نفسه مرة شاعراً إيرانياً
أجلي إلى ألمانيا يقول:

«يا فردوسي! يا جامي! يا سعدي! إن أحاكم في سجن الغم يخفق
حيناً إلى أزهار شیراز».

ثم نذكر من مقلدي حافظ الأذنين منزلة: دومر، هرمن ستال لوشكي،
ستابك، لتز، لنت هولدا، وفون شاك. وهذا الأخير كان ذا منزلة عالية في
العلم، ونظمه قصة إنصاف محمود الغزنوي، وقصة هاروت وماروت -
مشهور. وأوضح الآثار في كلامه: أثر عمر الخيام.

وبعد فلا بد من بحث طويل لكتابة تاريخ كامل لتأثير الشرق في الأدب
الألماني، والمقابلة بين شعراء إيران وألمانيا، لتقدير أثر العجم تقديراً
حقاً، ولكن لم يتيسر الوقت، ولا العدة لهذا البحث. ولعل هذا البحث
المختصر يثير قلب أحد الشبان للتحقيق والتدقيق في هذا الشأن.

وأما «پیام مشرق» الذي كتب بعد «الديوان الغربي» بمئة سنة فلست في
حاجة إلى الإبانة عنه. فسيرى الناظرون فيه بأنفسهم أن أكثر ما يرمي إليه
هو النظر في الحقائق الأخلاقية، والدينية، والمذهبية؛ التي تتصل بالتربية
الباطنية في الأفراد والأمم. ولا ريب أن بين ألمانيا قبل مئة سنة وأحوال
الشرق الحاضرة تشابهاً ما، ولكن الحقيقة أن الاضطراب الباطن في أمم

العالم الذي لا نستطيع تقدير خطره لأننا متأثرون به - هو مقدمة انقلاب حضاري وروحاني عظيم جداً.

كانت الحرب العظمى التي قامت في أوربة قيامة كادت تمحو نظام العالم القديم من كل جوانبه. وأن الفطرة لتخلق اليوم في أعماق الحياة من رماد الحضارة والثقافة إنساناً جديداً وتخلق عالماً جديداً لإقامة هذا الإنسان؛ عالماً يرى هيكله غير البين في مؤلفات آينشتاين، وبركسون.

لقد رأت أوربة بعينها النتائج المخوفة لمثلها الاقتصادية، والأخلاقية، والعلمية. وسمعت من سنيور نيتي «الذي كان رئيس وزراء إيطالية» قصة «انحطاط الفرنج» المحزنة، ولكن وأسفاه لم يستطع عباد القديم الذين سمعوا حقائقه أن يقدروا الانقلاب المدهش الذي كان يشور في الضمير الإنساني.

وإذا نظرنا نظرة أدبية خالصة نرى أن اضمحلال قوى الإنسان بعد الحرب لا ييسر نشوء مثل روحية صحيحة ناضجة. بل يخشى أن تغلب على طبائع الناس هذه الإباحية المنهوكة الضعيفة الأعصاب التي تفر من مصاعب الحياة، والتي لا تميز بين نزعات القلب وأفكار العقل. لا شك أن أمريكا عنصر صحيح في الحضارة الغربية، فلعل هذا الإقليم خالص من قيود الروايات القديمة، ولعل وجدانه الاجتماعي يقبل راضياً الأفكار والنزعات الجديدة.

إن الشرق - ولا سيما الشرق الإسلامي - يفتح عينيه بعد نوم القرون المتطاولة. ولكن يجب على أمم الشرق أن تتبين أن الحياة لا تستطيع أن تبدل ما حولها حتى يكون تبدل في أعماقها، وأن عالماً جديداً لا يستطيع أن يتخذ وجوده الخارجي حتى يوجد في ضمائر الناس قبلاً. هذا قانون الفطرة الثابت الذي بينه القرآن في كلمات يسيرة وبلغية: (إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [الرعد: ١١]، إنه قانون يجمع جانبي الحياة كليهما الفردي والاجتماعي. وقد اجتهدت في كتبي الفارسية أن أبين للناس صدقه، وأنه لجدير بالإكبار كل مسعى في العالم - ولا سيما في بلاد الشرق - يقصد إلى أن يرفع أنظار الأفراد والجماعات فوق الحدود الجغرافية، فيولد أو يجدد فيها سيرة إنسانية صحيحة قوية.

وأختم بالشئ على صديقي جودهري محمد حسين. أم. أي، قد رتب مسودات «پیام مشرق» للطبع. ولولا احتمال هذه المشقة لكان عسى أن يتأخر نشر هذه المجموعة مدة طويلة.

إقبال

القسم الأول

شقائق الطُّور

-١-

شَهِيدٌ دَلَالُهُ حِفْلُ الْوَجُودِ وَكُلُّ الْكَائِنَاتِ مِنَ السُّجُودِ^(١)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ شَمْسَ الْأَفْقِ لَاحَتْ بَوَاجِهُ الصُّبْحِ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ؟

-٢-

بِقَلْبِي مِنْ تَحْرِقِهِ ضِيَاءُ وَيَجْلُو النُّورِ فِي عَيْنِي الْبُكَاءُ
فَزَادَ مِنَ الْحَيَاةِ نَوَى غَيْيٍ يَقُولُ: الْعِشْقُ مَسٌّ أَوْ هُرَاءُ

-٣-

نَسِيمُ الْعِشْقِ فِي الْجَنَّاتِ جَارٍ وَيُنْمِي الْعِشْقُ أَزْهَارَ الْبَرَارِي
وَيَخْتَرِقُ الْبَحَارَ لَهُ شِعَاعٌ فِيَهْدِي الْعِشْقُ حَيْثَانَ الْبَحَارِ

-٤-

رَمُوزُ الْعِشْقِ فِي وَرَقِ الشَّقَائِقِ وَغَمُّ الْعِشْقِ فِي رُوحِ الْخَلَائِقِ
وَإِنْ تَضَدَّعَ طَبَاقُ الْأَرْضِ تُبْصِرُ نَصِيبَ الْعِشْقِ مِنْ دَمِ كُلِّ عَاشِقٍ

-٥-

وَمَا كُلُّ لَه فِي الْحُبِّ كَفْلٌ وَمَا كُلُّ الْوَرَى لِلْحُبِّ أَهْلٌ

(١) جمع ساجد.

على وَرَقِ الشَّقَائِقِ وَشَمِّ غَمٍّ ويخلو من شرار القلب لَقْلُ^(١)

-٦-

بهذا المزج مثل الرِّيحِ^(٢) أسري علام أهيمُ فيه؟ لستُ أدري
فإن أظفر وإن أخفق فلإني شهيدُ تضرُّمِ الآمالِ غُمري

-٧-

يقول العنديلُ: أيا صاحبي ا أغيرُ الغمِّ في هذا الترابِ؟
يشيخُ الشوكُ في عريضِ الفيافي ويذوي الوردُ في غُمرِ الشبابِ

-٨-

لبدءٍ أو ختامٍ لستُ أسري أناسرُّ أحوالُ كَشَفِ سرِّ
فإن بدتِ الحقيقةُ دون ستر رجعتُ إلى «لعلِّ» و «ليت شعري»

-٩-

أقلبي كالفراس هوى، إلامه؟ ولا تمضي مضاء قتي، إلامه؟
بنارك فاحترق يوماً وأقدم بنارِ الأجنبيِّ صلي، إلامه؟^(٣)

-١٠-

أقم بدنأ على كَفِّ الغُبارِ^(٤) شديدَ الأسرِّ ضُلباً كالحجار

(١) اللعل: أي العقيق.

(٢) الريح: الرائحة.

(٣) هذه الرباعية مردوفة. فيها الروي قبل الكلمة المكررة.

(٤) يكثر التعبير في الفارسية عن الإنسان بكف غبار «مشت خاك».

وقلباً فيه جياشاً بهم كنهراً في حمى الأطواد جار

- ١١ -

أنجم الصبح تُسرّع في فراقٍ ضللتُ بغفلتي شُبلي ولكن
لعلك من رُقادي ضقت ذرعاً أتيتُ وجُزتنا يقظان تسعى

- ١٢ -

وكم ذا في الوجود من الجُور! أرى اللذات في شوق الظهور
ويصدع غُصنه بُرعم زهر فيسم للحياة من السُرور

- ١٣ -

تقول فراشة من قبل خلقي أنلني لمحّة قلب الحياة
رمادي فاذه سحراً ولكن أذقني ليلة حرق الحياة

- ١٤ -

بني الإسلام أسرّ في ضميري يُضيء كزُوح جبريل الرسول
أخادع أزري الطبع عنه^(١) فهذا السرُّ من سرِّ الخليل

- ١٥ -

أراك بسرّ أفلاك تجوّل وتجهل سرّ نفسك يا جهول
فوجّه - كالنواة - إليك عينا لينبت من قرارتك النخيل

(١) أزري الطبع: الذي يشبه آزر والد إبراهيم، وكان ينحت الأصنام، وكان ولده الخليل يدعو إلى

التوحيد.

- ١٦ -

تَغْنَى طَائِرٌ سَحَرًا طَوِيلًا فَأَبْدَعَ شِدْوَهُ نَغْمًا وَقِيلًا:
أَبْنُ عَمَّابِصْدَرِكَ لَا تَدْعُهُ غِنَاءً أَوْ أُنَيْنًا أَوْ عَوِيلًا

- ١٧ -

أَتَبْغِي عِنْدَ مِثْلِي مِنْ شَرَابٍ يَرْذُكَ مَنْ وَجُودِكَ كَالْبَعِيدِ
فَلَا تَطْلُبِ بِسَوْقِي مِنْ مَتَاعٍ سَوَى صَدْرِ مَتَمَزَّقٍ كَالْوَرُودِ^(١)

- ١٨ -

تَسُوءُكَ رَوْضَتِي مَرَأًى إِذَا لَمْ يَسْرُكَ فِي طَلَابٍ بِذُلِّ رُوحٍ
أُبَيِّنُ فِي عُروْقِ الْوَرْدِ سِرًّا رِيْعِي لَيْسَ مِنْ لَوْنٍ وَرِيحٍ

- ١٩ -

أَنَا فِي الرُّوضِ مُنْفَرِدٌ غَرِيبٌ عَلَى غَضْنِي أُنُوخُ مَعَ الرِّيحِ
فَإِنْ تَكُ مِنْ رِقَاقِ الْقَلْبِ فَابْعُدْ فَإِنَّ دَمِي لِيَرْشَحُ فِي نُوَاحِي

- ٢٠ -

أَهَابَ إِسْكَندَرُ بِالْخَضِرِ: أَقْبَلْ وَعَانَ الْكَدُّ فِي بَحْرِ وَبَرٍ
وَمَوْتَ فِي السَّوْغَى تَزْدَدُ حَيَاةً إِلَّا مَ تَحِيدُ عَنْ كِبَرٍ وَفَرٍ؟

- ٢١ -

لَهُ نَقْشٌ يُجَدِّدُ كُلَّ حِينٍ فَلَا تَبْقَى الْحَيَاةُ عَلَى غِرَارٍ

(١) جمع ورد. والورد في خياله يمزق صدره ليتجلى جماله.

فإن صوّرت يومك مثل أمسين . فما يحوي ترابك من شرار

- ٢٢ -

بهذا المَرَج ما علّقت قلبي مضيت ولم تعوّقني القيودُ
كريح الصُّبح طفئت به قليلاً مضيت ونصّرت مني الورودُ

- ٢٣ -

أجاش بقطرتي بحرأ وردت خمّياه ترابي جام جم^(١)
أقام العقل أصناماً برأسي خلیل العشق بأدرها بهدم

- ٢٤ -

أتيت الطُور تلمسُ التجلي فروحك منك ليست في وصال
فأقدم في طلابك آدمياً كذاك الله في طلب الرجال

- ٢٥ -

لخوف الموت قلبك في ارتعاد ولونك حال من خوف الشتات
فنفسك أحكمن وازدد نضوجاً فإن تفعل تعش بعد الممات

- ٢٦ -

دع الرازي في تفسير آي فإن ضميرنا نعم الدليل
يضرّم عقلنا والقلب يصلى بهذا نمردُ فسّر والخيّل

(١) كأس جمشيد أحد ملوك الأساطير الفارسية كان يرى فيها العالم.

-٢٧-

فأبلغ شاعر الألوان عني: لهيئك كالشقائق لا يضير
ففسك لا تذيب بنار قلب ولا ليلاً لمحزون تنيرو
جميلك أو قبيحك لا أراه جعلت عياره ربحاً وخسراً
بهذا الحقل من مثلي وحيداً؟ أرى الدنيا بعين في أخرى

-٢٨-

دع الشيطان لا تركز إليها ضعيف عندها جرس الحياة
عليك البحر صارع فيه موجاً حياة الخلد في نصب ثواتي

-٢٩-

أكثر لي حديثاً عن حياة ولست أراك فيها بالحقيق؟
سكزت بلذّة التيار حتى جعلت منازلني ميل الطريق^(١)

-٣٠-

مررت بزهرة ذبلت فقالت وجودي مثل ما طار الشراؤ
يذوب لمحنة النقاش قلبي فليس لنقش ليقته قرار

-٣١-

أرى الدنيا على سعة كحوت من الأيام في بحر عميق
فقلبك أبصرنا وأعجب لبحر من الأيام في كاس غريق

(١) يعني: أن كل منزل يبلغه بعده علامة على الطريق لا غاية. والميل الحجر يبين المسافة.

- ٣٢ -

أنا في المرح حديث الطيور ومقول كل برعوم صغير
فأشلم للصبا تُربي بموتي فمالي غير طوف بالزهور

- ٣٣ -

أوادي الورد يُدي كل شيء فما سر الشقائق في لهيب؟
بأعيننا الرُبي أمواج لون فكيف تُرى بعين العندليب

- ٣٤ -

دماغي يعشق الأصنام كفراً يربها ويعبد كل حين
فأبصر في فؤادي نار عشق بعيد أنت من سنني وديني

- ٣٥ -

عوامل من نجوم لا تُخد يطير الفكر فيها لا يُرد
ولكن في خفايا القلب يلفى لما يحتويه الحدث، حد

- ٣٦ -

بسلسلة القضاء ربطت رجلاً وفي سعة العوالم ضقت حالا
فقم إن كنت في ريب وحاول تجذ للرجل في الدنيا مجالا

- ٣٧ -

بضربك قد علت أنغام رُوحِي أفي رُوحِي وخارجها تكون؟
برقك خامد وبك اشتعالي بلا كيف فكيف تُرى بدوني

-٣٨-

أرى الأنفاس من جدواه موجاً ومن أنفاسه نابي ونغمي
على النهر المؤيد قد نبتنا وقطر نداه أعصابي وجسمي

أيا طفل السجايا أسمع عتابي لإسلام وفخر بانتساب؟
فإن تعجز بالإنساب عرب فإن جزاءها هجر الصحاب

أأفغان وتاتار وترك وفي مرج ومن غصن نمونا
حرام بيننا تفريق لبون ربيع واحد فيه زهونا

ثوت في صدورنا همم كبار بطينتنا فؤاد فيه نار
من الخمر التي فينا أضاءت مقيم في زجاجتنا شرار

أيا قلبي ! أيا قلبي ! أيا قلبي ! أيا فُلُكي ! ويا بَرِّي وبحري !
قَطَرَتْ على تُرابي كاللدى أم نبتٌ بُرَّتِي بُرْعوم زهرٍ ؟

-٣٩-

أتسأل من أنا من أين جيت حيثُ بما على نفسي طويثُ
بهذا البحر مثل الموج أسري إذا لم أطو في نفسي فنيثُ

- ٤٠ -

عليك السَّيْرُ لا ترغِبَ مَقِيلًا وسِرُّ كَالشَّمْسِ لا تَرْتَقِبْ دَلِيلًا
وَهَبْ لِلْآخِرِينَ مَتَاعَ عَقْلِ وَنَارَ الْعِشْقِ فَاحْفَظْهَا بِدِيلًا

- ٤١ -

أَلَا يَا عَشْقُ ! يَا رَمَزَ الْفُؤَادِ ! وَيَا زَرْعِي النَّضِيرِ ! وَيَا حَصَادِي !
تَقَادِمُ أَهْلُ هَذَا الثَّرْبِ فَاخْرُجْ بِأَدَمِ مُحَدِّثٍ مِنْ ذَا الرُّمَادِ

- ٤٢ -

يَرَى قَلْبُ الشُّجَاعِ اللَّيْثَ وَهَمًّا وَفِي قَلْبِ الْجَبَانِ الظُّبْيَ بَيْرُ
أَخْمَرًا خَلْتَنِي أَمْ كَأْسُ خَمِرٍ وَدُرًّا خَلْتَنِي أَمْ كَيْسُ دَرٍ
أَرَانِي غَيْرَ رُوحِي وَهِيَ غَيْرِي مَتَى أَنْظُرَ إِلَى مَكْنُونِ سِرِّي

- ٤٤ -

تَقُولُ: بَطِيرْنَا عَلِقَتْ قِيُودُ وَفِي شُرْكِ الْجِسْمِ لَهَا هَمُودُ
وَمَعْنَى الْمُرُوحِ بِالْأَجْسَامِ يعلو مِسْنُ سَيُوفِنَا هَذَا الْعُمُودُ

- ٤٥ -

فَكَيْفَ بَقَلْبِنَا وَلَدَ الرَّجَاءِ وَكَيْفَ سَرَايُ مَتَرْنَا يُضَاءُ
وَمَنْ فِي الْعَيْنِ يَبْصُرُ مَا يَرَاهُ وَكَيْفَ حَوَى التُّهَى طِينُ وَمَاءُ

- ٤٦ -

لَنَا كَوْنٌ لِأَزْمِيلٍ وَنَحْبِ يَقْبِهُ صَبَاخُكَ وَالْمَسَاءُ
مِثَالُ مَنْ تُرَابٌ لَمْ يَكْمُلْ يَسْوِيهِ بِمَبْرَدِهِ الْقَضَاءُ

-٤٧-

طريقك فانتخبته في كفاح طريق سواك مسلكه عذاب
فإن أبدعت في عمل فري وإن يك مأثماً فلك الثواب

-٤٨-

دليل القلب لا يرضى نزولاً ولا يرضيه ماؤك والثواب
فلا تحسبه في جسد مقيماً فلا يرضى بشطّ ذا الغباب

-٤٩-

تخذت لخلوتي طيني ومائي ويوعد بين أفلاط وبينني
فلم أستجد يوماً عين غسري ولم أر عالمي إلا بعيني

-٥٠-

ترى رمز الحياة بكل كم مجاز فيه يا قلبي الحقيقة
بشرٍ مظلّم ينمو ولكن له عين إلى شمس الخليفة
يضيء على المروج وكلّ شهب وكاش الورد فيه نور حب
وما نفّس الوري ظلمات ليل فحرقه السراج لكل قلب

-٥٢-

وبالعدم استزابت ثم راغبت فحلّت قلب آدم للثواء

-٥٣-

بقلبي سرّ جثمان وروح فلا فزع إذا أجلي أتاني
فأما غاب عن عيني كون فباق ألف كون في جناني

- ٥٤ -

مزاج الزهر أعرف في يقينٍ وريح الورد في خلد الغصونِ
وحبّني إلى الأطيّار أتّي عرّفتُ لها مقامات اللّحونِ

- ٥٥ -

نظام الكون من شعر الرّجاء له الأوتار من وتر الرّجاء
بعيني كلّ ما يمضي ويأتي هو اللّمحات من دهر الرّجاء

- ٥٦ -

يهيم القلب في أثر الرّجاء وصدري من ضجيج في عناء
فلا تطمع جليسي! في حديثي فإنّي من فؤادي في نداء

- ٥٧ -

أرى الحكماء تحطم كلّ شكلٍ ومن هذا الوجود بسومات^(١)
يريدون الملائك في طلاب وما ظفروا بآدم في الحياة

- ٥٨ -

جلستُ مع الطبيعة ألف عامٍ وُصّلتُ بها وعن نفسي فُصّمتُ
فُصّارى سيرتي في ذاك أن قد نحتُ، وقد عبدتُ، وقد حطمتُ

- ٥٩ -

بنفسي جلوة الأفكار، ما هذا؟ وحولي محشر الأسرار، ما هذا؟

(١) معبد أصنام معروف في الهند.

أبن لي يا حكيم: يقيم جسمي وروحي دائم التسيار. ما هذا؟

-٦٠-

بكيفك إن تُحط خُبراً وكمّك يفُض من قطرة لك فيض يَمَك
فيا قلبي لم استجداء شمس؟ من الأنفاس نور ليل غمّك

-٦١-

أفك ما القلب بالأنفاس يحيا ولا هورهن ما يبقى ويفنى
أخا الأوهام لا ترهب جماماً فإن نفس مضى فالقلب يبقى

-٦٢-

إلى أهل التصوّف والصفاء رجال الله أرباب الضياء:
أنا عبد الهمة عبد نفس بنور النفس للخلاق راء

-٦٣-

بُعْدَ حائنا الغبرا غُبار ودورة كأسنا القللك المذار
حديث جهادنا مُضِن طويل ودنيانا لقصتنا اختصار

-٦٤-

وما علّقت بالأنعام قلبي وفي نغم الحياة أنا الخيّر
وقد غيّت في الأغصان حتّى تصيح الطير: من ذا؟ يا زهوراً

-٦٥-

أثرت بنغمتي كلّ النوادي ومن شرر الحياة جعلت زادي

أضاء القلب من عقلي ولكن جعلت عيار عقلي في فؤادي

-٦٦-

رددت العجم فتیاناً بزمري وراج متاعهم من بعد خسر
وكانوا هائمين بكل واد وقافلة نظمتهم بشعري

-٦٧-

بروح العجم من نغمي شرار قرعت لهم بأجراسي فساؤوا
وعاليت الحداء لهم كعزفي^(١) تباطأ محملاً ونأت ديار

-٦٨-

نفثت النار من روعي نفثت وصدّر الشرق قلباً قد وهبت
وصير طينه لهباً نواحي كبرق فسي سجايه نفذت

-٦٩-

بأغصان الرجاء جنت أكلأ وأفضى الدهر بالسر المنيع
أرامي اخش للبيستان رياء فإن معي رسالات الربيع

-٧٠-

بحار العجم ليس لها قراو وفي أحشائها دُرر كباو
ولكن لا أحب ركوب بحر إذا لم يخش في موج خطاو

(١) إشارة إلى بيت عرفي الشيرازي:

نوارا تلخ ترمي زن جو ذوق نغمه كما يابی حدی راتیز ترمي خوان چون محمل راكران
بینی

-٧١-

على دُنياك تقضي بالهوانِ وستر لمغيّب كل أن
فأحكم يومك المشهودَ واعلم بأن غدا ضمير في الزمانِ

-٧٢-

كرهت سيادة الإفرنج لكن سجودك للقباب وللقبور
ألفت عبادة السادات حتى لتنحت سادة لك من صخور

-٧٣-

إلام تعيش في ربّ الإهاب؟ إلام تعيش نملاً في تراب؟
فطير كالصقر معتزماً وحليق إلام أسير حب في الياب؟

-٧٤-

اتخذ في الورد والأزهار عشا ومن طير دروساً في انتحاب
وإن ينقض فواك الشيب فاؤخذ من الدنيا نصيباً من شباب

-٧٥-

أهاب بمسمعي ثمراب قبر: وتحت الأرض يمكن أن يعاشا
له نفس وليس لديه روح ذليل في مُرادٍ سواه عاشا

-٧٦-

سماطي ليس فيه ما يروق ولا في الكأس لألأث الرّحيق
غزالي يغتذي عُشب المَواامي ولكن صدره مسك فييق

-٧٧-

قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ قَبَسَنَ نَارِي وَدَمَعِي مِنْ عَيُونِهِمْ هَتُونُ
بُرُوحِي مَخْشَرٌ قَدْ غَابَ عَنْهُمْ فَلَمْ تَرِ مَا رَأَيْتُ لَهُمْ عَيُونُ

-٧٨-

أَرَى لِلْعَشَقِ تَصْرِيفاً عَجِيباً يَقْلِبُ كَيْفَ مَا يَهْوَى الْقُلُوبُ
رَمَاكَ بِأَذْمَعٍ وَسَبَاكَ نَفْساً وَصَيَّرَنِي إِلَى نَفْسِي قَرِيباً

-٧٩-

رَأَيْتُكَ لَا تَزَالُ أَسِيرَ طِينِ إِلَى تُرْكٍ وَأَفْغَانٍ تُرْدُ
أَنَا بِشَرِّ بَلَا لَوْنٍ وَرِيحِ وَلِلتُّورَانِ أَوْ لِلْهِنْدِ بَعْدُ

-٨٠-

أَثَارُ الشُّعْرِ فِي جَنْبِي نَارَا وَرَدَّ الثُّرَابِ فِي طُرْقِي شَارَا
حَدِيثَ الْحَبِّ حَاوَلَهُ لِسَانِي فَزَادَ السَّرَّ تَبْيَانِي سِرَارَا

-٨١-

تَوَلَّى بَعْدُ عَنْ عَقْلِ الْفَنُونِ وَأَدْمَى قَلْبَهُ عَشَقُ الشُّجُونِ
فَلَا تَسْتَفْتِ إِقْبَالاً لَشَيْءٍ فَإِنَّ حَكِيمَنَا رَهْنُ الْجُنُونِ

القسم الثاني

أفكار

الوزدة الأولى

لا أرى في المخرج لي من قريع
 أبتغي في الغدير صورة نفسي
 في سطوري رسالة يبراع
 أمس قلبي، وعبرة اليوم عيني،
 وأنا النجم خلفته الثريا
 أنا أولى زهور هذا الربيع
 لأرى وجه مؤنس لي سمع
 خط سطر الحياة في ترصيع
 وغدي منيتي وكل بديع
 نسج الثرب ثوب ورد علي

دعاء

أيا مالئاً كاسي بحانة فطرتي
 وصرير أنيني ثروة العشق واجعلن
 إذا مت فاجعلني سراج شقيقة^(١)
 أذبت طين كاسي من حرارة خمرتي
 تراباً بسينائي تسفر شعلة
 وبالييد أحرقني وزد نار وشمتي

(١) يعني: زمرة من الشقائق.

رائحة الورد

وحوراء في الخلد ضاقت فقالت : «جهلنا بما تحتنا من جهات
يحير عقلي نهاز وليل
غدت ريح ورد وذرت بغصن
وما قيل عن مولد أو ممات
وتفتح عيناً وتبسم كمأ
فحللت بعالم ماض وآت
لهذي الطليقة لم تبق ذكرى
وبعد نماء هوت في شتات
سوى آهة سمئت بالشذاة^(١)

نشيد الوقت

قد أحاط الشمس ججري
وحوى الأنجم صيذري
أنا لا شيء ولكن
فبيكم روعي تسري
أنا في دور وقف
أنا في كوخ وقصر
أنا سيق الدوران^(٢)
وأنا عيشة يسر
إن جنكيز وتمو
أنا عاين الحبان^(٣)
ثورة الإفرنج فيها
أنا قليل من غباري
إنما الإنسان والدنيا
نقشات من شراري
ودماء من قلوب
نقوشني وابتكاري
ففي ربيع كالبهار

(١) الشذاة: الرائحة.

(٢) دوران الفلك.

(٣) ينبوع الحياة، وعين الحياة في الأساطير شرب منها الخضر، فلم يموت.

أنا لَفَحُ التَّيَرانِ أنا رَوْضُ الرِّضـوانِ
أنا سَيَّارُ مَقِيمٍ إنَّ هذا الأمرَ إمْرُ
إنَّ فَنِي خَمَرةَ يَومِي من غَدٍ يَظْهَرُ سِرُّ
ألفُ كَوْنٍ، فَانْظُرْهُـنَا في ضَميري تَسْتَسِرُّ
ونجـومُ فَنِي حَبـاكِ وَقَبـابُ فَنِي خُـضـرُ
أنا ثَنُوبُ الإنسانِ أنا سِرُّ الرِّحـمـنِ
سِرِّي التَّقْـدِيرُ والتَّـنـدِ يَـمـرُّ مَن سَحَرِ فَنونِكَ
أنتَ مَجـنـونُ بَـلـيلِي أنا صَحراءُ جَنونِكَ
أنا كـالـرُّوحِ بَـسـري مَن خِـيالاتِ ظَنونِكَ
أنتَ في جَوفِي مَرُّ وأنا سِرُّ شُؤنِكَ
أنا حادُّ أُنْتِ نُزْلُ أنا حَقْلُ أُنْتِ حاصِلُ
أنتَ فَيَّاضُ بِلَحـنِ أنتَ نارُ في المَحافِلِ
يَـنا أَسـيرَ الطَّيـنِ فَكـرِ أنتَ عَن قَلْبِكَ غافِلِ
انْظُرْـنَـه مـلءَ كَأَينِ وهو بِحَرِّ دُونِ سَاحِلِ
إنَّ مَوجاً فيكَ يَعلـو مَنـه يَـلـدو طَوفانِي

الرَّبيع

- ١ -

هَلَمْ فَإِنْ سَحَابَ الرِّيعِ يَخِيْمُ فَوْقَ الرُّبَى وَالْوَهَادِ
وَشَدُو الْعَنَادِلِ فِي كُلِّ وَادٍ

هَلَمْ فَإِنْ سَحَابَ الرِّيعِ يَخِيْمُ فَوْقَ الرُّبَى وَالْوَهَادِ

- ٢ -

هَلَمْ فَمِلْءُ الرُّبَى وَالشُّهُولِ قَوَافِلُ أَزْهَارِهِ وَالْوُرُودِ
نَسِيْمُ الرَّيْعِ عَلَى كُلِّ عَوْدٍ

هَلَمْ فَمِلْءُ الرُّبَى وَالشُّهُولِ قَوَافِلُ أَزْهَارِهِ وَالْوُرُودِ

- ٣ -

صَفِيرُ الْبَلَابِلِ مِلْءُ الْجَوَادِ وَصَوْتُ الصَّلَاصِلِ مِلْءُ النَّسِيمِ^(١)
دُمُ الْمَرْجِ فِي جَوْفِهِ كَالْحَمِيمِ

صَفِيرُ الْبَلَابِلِ مِلْءُ الْجَوَادِ وَصَوْتُ الصَّلَاصِلِ مِلْءُ النَّسِيمِ

- ٤ -

دَعِ الدُّوْرَ وَاطْلُبْ فَسِيحَ الْبَرَارِيِّ وَانْظُرْ إِلَى صَفْحَاتِ الْجَمَالِ
عَلَى حَاقَةِ الْمَاءِ دُونَ مَلَالٍ

دَعِ الدُّوْرَ وَاطْلُبْ فَسِيحَ الْبَرَارِيِّ وَانْظُرْ إِلَى صَفْحَاتِ الْجَمَالِ

(١) شقائق النعمان.

(٢) الصلصل: الفاخنة، أو طائر يشبهها، والكلمة نفسها في شعر إقبال.

-٥-

وَعَيْنَ البَصِيرَةِ فَاَنْظُرْ بِهَا أَيَا غَافِلًا عَنْ عِيَانِ الْخَلْقِ !

شَقِيقٌ بَدَأَ خَلْقًا فِي حَلَقِ

وَعَيْنَ البَصِيرَةِ فَاَنْظُرْ بِهَا أَيَا غَافِلًا عَنْ عِيَانِ الْخَلْقِ

-٦-

ثَرَى الْمَرْجِ صَرَّحَ فِي هَيْجِهِ بِمَا أَضْمَرْتُ مُهْجُ الْكَائِنَاتِ

فَنَاءُ الصِّفَاتِ وَكُونُ الصِّفَاتِ

ثَرَى الْمَرْجِ صَرَّحَ فِي هَيْجِهِ بِمَا أَضْمَرْتُ مُهْجُ الْكَائِنَاتِ

الحياةُ الخالدة

لَا تَظُنَّ الْخَمَّارَ وَافِي خَتَامًا كَمْ مِنَ الرِّاحِ فِي غُرُوقِ الْكُرُومِ !

يَجْمُلُ الْمَرْخُ لَا بِشَوْبِ حَيَاةٍ مَزَّقَتْهُ النَّسِيمُ كَالْبُرْعُومِ

مَنْ يُحِطُ بِالحَيَاةِ لَمْ يَرْضَ قَلْبًا لَمْ تَخِزْهُ الْمَنَى بِشَوْكِ أَلِيمِ

مُحْكَمًا كَالْجِبَالِ عَشْ، لَا ضَعِيفًا وَاهِنَ النَّارِ طَائِشًا كَالْهَشِيمِ

(١) يشبه الندى على الشقيق بالأنجم في الشفق.

أفكار النجوم

سَمِعْتُ بِكَوْكَبٍ لِأَخِيهِ يَشْكُو : لَنَا بِحَرٍّ وَلَيْسَ يَلُوحُ سَاحِلُ
خَلَقْنَا لِلْمَسِيرِ بِلَا وَقُوفٍ فَلَيْسَ لِرُكْنِيَا أَبَدًا مَنَازِلُ

فَإِنْ تَمَضَّ النُّجُومُ كَمَا نَرَاهَا فَمَا جَدَوَى الْعَنَاءِ؟ وَمَا نُفَيْدُ؟
بِأَشْرَاكِ الزَّمَانِ لَنَا إِسَارُ سَعِيدٌ مَنْ يُجَانِبُهُ الْوُجُودُ

لَهَذَا الْعَبَاءُ مَحْمَلُهُ شَدِيدُ فَلَيْتَ وَجُودَنَا عَدَمٌ أَيْدُ
كَرِهْتُ الْقَبَّةَ الزَّرْقَاءَ أَوْجَاءُ حُضِيضُ الثَّرْبِ خَيْرٌ لَوْ نَزِيدُ^(١)

فَطَوَّبَى لِأَبِي آدَمَ فِي طَعَانٍ قَدْ اسْتَوَلَى عَلَى طَرَفِ الزَّمَانِ
خَلِيقٌ بِالْحَيَاةِ لَهُ قِوَامٌ يُجَدِّدُ أَوْ يُخْلَقُ كُلُّ آنٍ

الحياة

بَكَى فِي الظُّلَامِ سَحَابُ الرَّيِّعِ فَقَالَ : الْحَيَاةُ بِكَيَاءٍ مَدِيدُ
فَقَالَ لَهُ الْبِرُّ فِي وَمَضِهِ : هَلِ الضَّحْكُ فِي لَمَحَةٍ؟ لَا تَزِيدُ
فَمَنْ أَبْلَغَ الرُّوحَ هَذَا الْحَدِيثِ فَيَصَارَ حَوَارَ النَّدَى وَالْيُورُودُ؟

(١) لو كان لنا إرادة واختيار.

محاورة العلم والعشق

العلم:

أنا سرُّ الكواكب والجهات
وعيني حَذَّتْ فيما أمامي
وكم نَغَمْتُ في عُودي ويوقي
وفي قيدي ثوى ماضٍ وآتٍ
وما نظري وراء السَّابحات ؟
وأسراري عَرَضْتُ بكلِّ سوقٍ

العشق:

بسحرك سُجِّرَتْ هذي البحارُ
وكنْتُ لي الصديق فكنْتُ نوراً
وُلِدْتُ الأُمس فيحرم الرحيم
هَلُمَّ قَرُدْ روضاً ذا اليابا
هَلُمَّ بذرةً مِنْ نار قلبي
كلانا الدَّهرُ خلٌّ لا يجورُ
وملأءُ الجوّ سَمُوكَ والشرار
ونوركُ مَذْهَجَتْ حماري نارُ
وصرْتُ اليوم في قيد الرحيم
ورُدَّ مَشِيبَ دُنْيَانَا شَبَابَا
أقم في الأرض فردوساً عَجابا
للحينِ واحدٍ بِسَمٍ وزيَرُ

غناء النجوم

وجودُنَا نظامُنَا
فِي دَوْرِنَا دَوَامُنَا
فِي فَلَكِ مَرَامِنَا
وَجَلْوَةِ الشُّهُودِ
وَشُكْرُنَا انْسِجَانُنَا
لَا يُرْتَجَى مَقَامُنَا
نَنْظُرُ سَائِرَاتِ
وَمُظْهِرَ الْبَدُودِ^(١)

(١) جمع بد، وهو الصنم، معرب بت.

ومع رَكَ الوجــــــــــــــــودِ . والعــــــــــــــــدم والموجــــــــــــــــودِ
والغــــــــــــــــيب والمــــــــــــــــشهودِ
وَجَلْبــــــــــــــــسَةَ الطَّعــــــــــــــــانِ
وغيــــــــــــــــرَ التيجــــــــــــــــانِ
ولعــــــــــــــــبِ الزَّمــــــــــــــــانِ
مضى زَمــــــــــــــــانِ المــــــــــــــــولى
ســــــــــــــــكندرُ قــــــــــــــــد ولَّى
والســــــــــــــــوثنُ اضــــــــــــــــمَحَلَّ
والصــــــــــــــــمَتِ والصــــــــــــــــياحا
والخُفــــــــــــــــعِ والطماحــــــــــــــــا
وتــــــــــــــــبارة أترــــــــــــــــاجــــــــــــــــا
عقــــــــــــــــلُك في عَقــــــــــــــــدٍ وَحَلَّ
مِثْل غزال قــــــــــــــــد عَقَلَ
ونحنُ في العليــــــــــــــــانِ نحلَّ

ما السرُّ ما الظهــــــــــــــــور؟
ما القلبُ ما الشعــــــــــــــــور؟
ما الغيــــــــــــــــبُ والحــــــــــــــــضور؟
كُفــــــــــــــــرك عــــــــــــــــندنا أَمــــــــــــــــم
يا من بــــــــــــــــصدره خــــــــــــــــضم
نحنُ بــــــــــــــــعالمِ نــــــــــــــــهم

وما الدُّجى ما التُّور؟
ما فطــــــــــــــــرة ضــــــــــــــــجور؟
ننظــــــــــــــــر ســــــــــــــــننــــــــــــــــاثــــــــــــــــراتِ
حولك عــــــــــــــــندنا لَمــــــــــــــــم
قنــــــــــــــــعت بِالظَّــــــــــــــــلِ انــــــــــــــــسجــــــــــــــــم
ننظــــــــــــــــر ســــــــــــــــننــــــــــــــــاثــــــــــــــــراتِ

نسيم الصُّبح

أجـيـء مـن لـجِّ بـحـرٍ	ومـن قـلـال الجـبال
مُسـيـراً لـسـت أدري	مـن أـيـن شـدَّت رـحـالي
أزجـي لـطـائـر غـمِّ	بـشـرى رـيـع الجـمالِ
ونـائـراً تـحـت عُـشِّ	ثـنـارَ زَهرٍ غـوالِ
بـخـضـرة أـتـرـدَى	وبـالـشـقـيق اتـصـالي
حـتَّى يـهـيـجَ فـيـه	لـونـاً وريـحاً وصالِ
يـمـسُّ أـورـاق وِردٍ	تـلـطـفُ فـي وـاحـتـيـالي
فـلا تـمـيـلُ غـصـونٌ	مـن طـوفـي الـمـتـوالِ
وشـاعـرٍ هـيـجـتـه	هـمـومُ عـشـقٍ لـقـالِ
مـزجـت أنـفـاس صـدري	بـلـحـنـه والمقـالِ

نصيحة صقر لفرخه

تعلَّم بنـي بـأنَّ الصُّقـوز	لها قلبٌ ليثٌ وجسمٌ صغير
فكنْ مُحْكَمَ الرأى شهماً جسوراً	عليَّ السجايا أيأ غيورا
بُغاث الطيور اهجرنها بعيدا	ودعها إذا لم تُرد أن تصيدا
فتلك الرعايدُ نسلُ اللثام	تدسُّ مناقيرها في الرغام
أرى الباز صيداً لما اصطاده	إذا قلَّد الصيد ما اعتاده ^(١)

(١) يعني: إن قلد الصقر الطيور الضعيفة التي يصطادها في عاداتها كان هو صيداً لها مغلوباً على أمره.

فكم باشق قد أتاه النَّوِي
 بنفسك فافحظ وعش في جذل
 ودغ للدراريح لين الجسد^(١)
 متاع الحياة - تعلم - جهاد
 نقول لفرخ عفتاب غيتي:
 ولا تبغ سزباً كسيرب الغنم
 سمعت وصاة الضقور العتاق
 فليس لنا في رياض مجال
 ولقطك حباً بأرض خطاء
 فأما خطى في الثراب النجيب^(٢)
 فإن بساط البزاة الحجر
 نمالك الأوابد زرق العيون
 أصيل أبني يوم الخطير
 جناحك من سطوات البروق
 فطر في السموات لا تخش خطبا
 ولا تقبلن طعمة من أحد

بصحبة لقاط حب هوى
 جريئاً متيناً قوياً العضل
 وكن مخلصاً كالمدي أو أحد
 وضرب على منحنى واجتهاد
 «بريق الدماء يفوق العقيق»
 توخض كقومك منذ القدم
 بالألقيم بطل وستاق
 فسيح الفيتافي لنا والجبال
 جانباً الإله عنان السماء
 فأشرف منه حمام رتب
 يحد مخالبه الصخر
 كأنك عتقاء جؤ متين
 كفيستل بإنسان عين التفر
 من الشهب فيك كزيم العروق^(٣)
 وكل ما أصبت يتساور طينا
 وكن راشداً واستمع للرشد

(١) دراريح: جمع دراج وهو طائر معروف.

(٢) يعني: الصقر ونحوه، وكلمة النجيب في الأصل.

(٣) الشهب: أي البيض، وفيها تورية بشهب السماء.

سوس الكتب

(الأرضة)

سمعت: بمكتبي ليلة
 يقول مررت بكثب ابن سينا
 ولم أدر حكمة هذي الحياة
 تجيب الفراشة في حرقه :
 رأيت الكفاح يعد الحياة
 ناز بـ صدر عشق
 شمساً أرى وفي كل
 سرازها من ناري
 حللت صذر مرج
 وكالندى من ثرابي
 قال: قفي قليلاً
 وما ثواء قلب
 ثوى بضيق غصن
 حتى كسيت لونها
 رش الندى طريقي بلؤلؤ ينير
 حكى لعندليب ورد له نضير
 فقال في نواح: كم أغلى الظهور
 فهل - وليت شعري -
 يُنادي الفراشة سوس الكتاب
 ونقب في كتب الفسارابي
 وما زلت من ظلمتي في حجاب
 أرى نكتة لا تُرى في كتاب
 رأيت الكفاح يمد الحياة
 فـ في أزل أنيسر
 ذرة اثنــور
 السماء تــتغير
 كــنفس أدور
 غصن بـدا نـضير
 ولهــبي يغور
 من أــلم يسير؟
 فـ في قلــبي يفور
 وعــق العيسر
 والصبح لي ضحوك وبـي الصبا تدور
 أني سلبت ناري وخمد السعير
 أحمل من شمس تشع في ضلوعي
 للنار مــن رجوع

الحكمة والشعر

ابن سينا في غبار حائر ويد الرومي في ستر الحبيب
غاص هذا يجتبي درأ وذا كغشاء دار في اللج المهيب
إن حقياً دون نار حكمة وهو شعر إن يصب نار القلوب

اليراعة

وذرة حقيرة قد جمعت قواها كأنها فراشة من حرق تصلاها
قد نورت دجاها

فهي آية خلقت وانعقدت شرارا من حرقه في قلبها تحولت نضارا
وبصرا نظارا

فراشة في قلبي تطير كل ناحيه
على اللميب رفرفت حتى كأنه هيئه
أنا وأنت قاله^(١)

أو كوكب في صدره مُستتر الضياء
وقد تدلى هابطاً في الأرض لاجتلاء
من فلك السماء

أوقم صغر بجلوة تمام
فمنة الشمس على شعاعه حرام
لم يحوه مقام

يا لك من يراعة تصورت من نور

(١) يعني: تحب الوحدة وتكره التعدد؛ الذي يقال فيه: أنا وأنت.

مَسِيرُهُمَا سِلْ سِلْ سَةُ الْغِيَابِ وَالْحَضُورِ
وَسَنَّةُ الظُّهُورِ

يَا مَشْعَلًا لِلطَّيْرِ فِي مَعْتَكِرِ الظُّلَامِ
مَا حُرْقَةَ أَحْسَسْتُهَا فَأَنْتَ فِي هُيَامِ؟
حَرَارَةُ الْإِقْدَامِ

نَحْنُ - وَقَدْ نَبَتْنا مِثْلَكَ مِنْ تَرَابِ -
نَجْهَلُ فِي اضْطِرَابِ نَبْصَرِ فِي اضْطِرَابِ
نُخْفِقُ فِي الطَّلَابِ

أَقُولُ قَوْلَ وَاعٍ مَجْرِبِ شَفِيقِ:
لَا تَسْعِينَ لِنَزْلِ وَامْضِ عَلَى الطَّرِيقِ
وَارْضَ بِذَا التَّوْفِيقِ

الحقيقة

تَقُولُ لِبَطَّةٍ صَحَبَتْ عُقَابَ :
أَرَى مَا أَدْرَكَتْ عَيْنِي سَرَابَا
أَجَابَتْهَا مُحَارَرَةٌ بِحَقِّ
وَلَكِنِّي أَرَى مَاءَ عُبابَا
فَقَالَ الْحَوْتُ فِي لُجٍّ عَمِيقِ :
هَنَا شَيْءٌ وَيَضْطَرِبُ اضْطِرَابَا

حداء

نغمة حادي الحجاز

يا ناقتي الخطّاره

خُني الخطّى قليلاً متزلّزاً قريباً

مطربة الرّغاء

خُني الخطّى قليلاً متزلّزاً قريباً

كم غصت في السّراب

خُني الخطّى قليلاً متزلّزاً قريباً

قطعة غيم غادي

خُني الخطّى قليلاً متزلّزاً قريباً

هيامك الزّمام

خُني الخطّى قليلاً متزلّزاً قريباً

ممسية في اليمن

خُني الخطّى قليلاً متزلّزاً قريباً

بدر السماء نعسا

خُني الخطّى قليلاً متزلّزاً قريباً

لحني دواء السّقم

خُني الخطّى قليلاً متزلّزاً قريباً

بين الله والإنسان

خَلَقْتُ الْأَنْامَ لَطِينٍ وَمَاءٍ خَلَقْتُ تَتَاراً وَزَنْجاً وَفُرساً
 خَلَقْتُ مِنَ الثَّرْبِ هَذَا الْحَدِيدَ وَمِهُمَا خَلَقْتُ وَسِيفاً وَثُرْساً
 وَفَأَسَا خَلَقْتُ لَجَذَعٍ وَغُصْنٍ وَسَجْناً صَنَعْتُ لَطِيرٍ مَغْنِي

الإنسان:

خَلَقْتَ الظَّلَامَ فَضَعْتُ السِّرَاجَ وَطِيناً خَلَقْتَ فَضَعْتُ الْكُؤُوسَا
 خَلَقْتَ جِبَالاً وَبِيداً وَمَرْجاً خَلَقْتَ حَدَائِقَهَا وَالْفُرُوسَا
 أَنَا مِنْ حِجَارٍ صَنَعْتُ مَرَايَا أَنَا مِنْ سُمُومٍ صَنَعْتُ دَوَايَا

اليراعة

تَقُولُ يِرَاعَةٌ : لَا تَحْسَبْنِي كَنَمَلِ السُّوءِ يَا لَمَنِي رَفِيقِي
 وَلَا أَعِشْوَ إِلَى نِيرَانٍ غَيْرِي كَمَا يَهْفُو الْفَزَاشُ عَلَى الْخَرِيقِ
 إِذَا حَلَّتِ الظَّلَامُ كَعَيْنِ ظُبِي أَنْرْتُ بِنُورِ أَضْلَاعِي طَرِيقِي

وَخُذْهُ

قَدْ قَلْتُ لِلْبَحْرِ يَوْمَاً فِي مَوْجِهِ الْمَتَعَالِي
 أَرَاكَ حَلَفَ طَلَابٍ فَمَا تَكُنُّ بِيَالٍ ؟
 وَكَمْ حَوِيَّتْ بِصَدْرِ مِمَّنْ لَا مَعَاتِ اللَّالِي
 أَفِيكَ مِثْلِي صَدْرٌ بِجَوْهَرِ الْقَلْبِ حَالِي ؟

ولم يردّ سؤالي
يا خالياً من غناء
من زفرة وبكاء
بسه عروق دماء
إنني حليف شقاء
ولم يردّ سؤالي
أتيت بدمر السمائم
إلى متى في مضاء
من نورك اللآلئ
في حرقلة وعناء
فلم يردّ سؤالي
من بعد طوف البرئة :
من ذرة لي نجية ؟
وذي البرايا خائبة
ليست بشدوى حريه
ولم يردّ سؤالي

فصدّ عني بجزر
وقلت للطود يوماً :
أنال سمعك صوت
إن كنت تحوي عقيفا
فواسني بحديث
فصدّ عني صموتا
جددت في السير حتى
فقلت : يا نضو سير
الأرض مخرج زهور
أخلف نورك قلب
رأى الكوكب ترنو
وقلت لله ربي
أما بدياك هذي
أكل طينتي قلب
طابت مروج ولكن
أجسابني بابتسام

قطرة الندى

قد قيل لي تدلّي من قلبك الدّاري
واسـتـحكمي ومـيـري للبحر ذي التّـيـار

في الموج لا تحاري

فما رضىيت بحرأ لـصـحـبـتي بحـال
عفت احتساء راح تـسـلـبـني خـلالـي

ما ضقت من خصالي

الـورـد لـي سـؤـول: ما خطب طير السّحر
وما جهات النّظر؟

ما نحن في اصطحاب؟ من نحن يا ودود؟
ما طائري المغنّي رجّحه الأملود؟

ما يقصد الغريد؟

فقلبت: المـروـج حـر ب الحياة في الآفاق
خفل له نظّام من لذة الفراق

الروح من إشراق

من قلبك مبطوي من طينة فتقبت
من لذة التجلّي نموت إذ أشـرقت

في الغصن قد خفقت

الدهر في اخضرار من دمعنا في السّحر
وذي الجهات طرأ خـداعنا في النّـظر

بالضندر سرب الزُّهر^(١)

ففي ثوب وردٍ إبرُ
من شوكة تصول
شوك، أجل، ولكن
نادم منه الجميل
من عشقه نحيْل
وعنده الخليْل
... في روضه أصيل

القلب حبّ أخيلينه
من ضحبة الدهور
عينك فافتحْها
للكوكب المنير
وصحبة البصير
مثلي هلْ هم طيري
وفي الفلك الكبير

العشق

فكري قد أجيد كل سير
عدت للطلاب في البراري
بغير خضر أطلب المنازل^(٢)
تطلب راحاً كاسي الحطيم
منطوياً كالموج في البحار
عشقك فاض بغتة بقلبي
عرّفتني الوجود والفناء
وطاف بين حرم ودير
مرتدياً بالتقع كالإعصار
يحمل رحلي للخيال كاهل
كالصبح من شباك التسيم
حيران كالإعصار في الصحاري
وحل كل عقدة في لتي
وصار ديري حرماً وضاء

(١) الزُّهر : النجوم.

(٢) بغير دليل، كما دل الخضر الإسكندر.

على خَصِيدِي مَرَّ كَالْبُرُوقِ ^(١)
 ضَعِيقْتُ تَوَّأً وَشُلْبْتُ حِسِّي
 رَفَعْتُ لِلْعَرْشِ الْعَلِيِّ تَرْبِي
 وَيَلَقَّيْتُ سَمَفِيَّتِي مُرْسَاهَا
 عِنْدِي حَدِيثُ الْعِشْقِ لَا سِوَاهُ
 غَنِيْتُ عَنْ وَمُضِ الْعُلُومِ خَسِي
 عَرَفْنِي لَذَاذَةَ الْحَرِيقِ
 فَصِلْتُ مِنْ نَفْسِي مِثْلَ الْعَكْسِ ^(٢)
 بِالسَّرِّ قَدْ أَقْشَيْتَهُ لِقَلْبِي
 وَفَاضَ قُبْحِي رَوْنَقاً وَتَاهَا
 لَا أَحْمِلُ الْمَلَامَ فِي بَلَوَاهُ
 خَفَقِي وَنَارِي وَدُمُوعُ الْحَبِّ

حياتك فابغ في الخطر الجليل

غَزَالَ بَثَّ شَكْوَاهُ غَزَالَا
 أَرَى الصَّيَّادَ حَوْلِي كُلَّ حِينٍ
 أَبْدَلَ خِيفَةَ الصَّيَّادِ أَمْنَا
 أَجَابَ رَفِيقَهُ أَنْ يَا خَلِيلِي
 وَنَفْسَكَ فَاشْحَذْنِي فِي كُلِّ آنٍ
 فَفِي الْأَخْطَارِ لِلْهِمَمِ اخْتِبَارُ
 فَقَالَ سَأَقْضُدُ الْبَلَدَ الْحَرَامَا
 فَلَا أَسْتَطِيعُ فِي أَرْضِ مُقَامَا
 وَأَنْفِي الْغَمِّ عَنْ قَلْبِي الْمَعْنَى
 حَيَاتُكَ فَابِغْ فِي الْخَطَرِ الْجَلِيلِ
 وَعِشْ أَمْضِي مِنَ السِّيفِ الْيَمَانِي
 لِأَرْوَاحٍ وَأَجْسَادٍ عِيَارُ

(١) يكثر في الشعر الفارسي ذكر إحراق البرق البيدر، ويكنى به الصوفية عن قطع العشق علانق الإنسان بالدنيا.

(٢) العكس: الصورة. والكلمة نفسها في الأصل.

الحياة

قد سألنا عن الحياة حكيماً قال : خَمَرٌ يَطْيِبُ فِيهَا الْأَمْرُ
 قُلْتُ : بَلْ دُودَةٌ نَمَتْ فِي ثَرَابٍ قال : لَا أَبِلَ سَمَنْدَرٌ لَا يَقْرُ^(١)
 قُلْتُ : وَالشَّرُّ طَبْعُهَا. قَالَ : لَا أَبِلَ خَيْرُهَا قَدْ جَهِلْتُ وَالْجَهْلُ شَرُّ
 قُلْتُ : مَا شَوْقُهَا يَتَسِيرُ لِنَزْلِ قال : فِي الشَّوْقِ مَنَزَلٌ مُسْتَسِرُّ
 قُلْتُ : فِي الطِّينِ خَلَقَهَا قَالَ فَانْظُرْ : شَقَّتِ الطِّينُ حَبَّةً فَهِيَ زَهْرُ

الحور والشاعر

(معارضة لقصيدة الحور والشاعر لجوته)

الحور:

لا الْخَمْرُ يَوْمًا تَطْيِيْبُكَ وَلَا إِلَيْنَا أَنْتَ نَظَرُ
 إِنِّي عَجِبْتُ لِشَاعِرٍ بِهِوَى الْأَحِبَّةِ غَيْرِ شَاعِرٍ
 مِنْ حُرِّ أَنْغَامِ الرَّجَاءِ وَحُرْقَةِ الطَّيِّبِ الْمَشَابِرِ
 نَفْسٌ تَلْذِيبُ بِلَوْعَةٍ وَتَغْزُلُ يَشْجُو الْمَزَاهِرِ
 وَخَلَقْتَ بِالْأَلْحَانِ دُنْيَا كَ الْعَجِيْبَةِ خَلَقَ شَاعِرِ
 تَبَدُّو لَهَا إِرْمٌ كَمَا يَبْدُو لَعَيْنٍ فِعْلٌ سَاحِرِ

(١) السمندر: حيوان خرافي يعيش في النار.

الشاعر:

تَخْدَعُنْ قَلْبَ مَسَافِرٍ
 مَا إِنَّ تَحَاكِي لَذَّةً
 مَاذَا أَقُولُ وَفَطَرَتِي
 قَلْبِي عَلَى قَلْبِكَ كَمَا
 فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى جَمِيلٍ
 خَفَقَ الْفؤَادُ إِلَى الَّذِي
 فَمَنْ الشَّرَارُ إِلَى النُّجُومِ
 إِنِّي لِيَهْلِكُنِي الْقِرَارُ فَمَا
 وَإِذَا شَرِبْتُ مِنْ الرِّبِيعِ
 أَشْدُو بِشَعْرِ أَخْرِ
 طَلَبِي النِّهَايَةَ فِي الَّذِي
 لَا صَبَابَ نَظَرِي وَلَا
 تَوَدِي قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ
 لَا صَبَوتَ مُحْزُونٍ وَلَا

بِالسَّيْحِ مِنْ وَخَزَاتِ قَائِلٍ
 وَخَزَاتِ شَوْكِ فِي الْمَجَاهِلِ
 لَا تَرْتَضِي دَعَاةَ الْمَنَازِلِ
 تَهْفُو الصَّبَا حَوْلَ الْخُمَائِلِ
 رَائِعَ حُلُوِّ الشُّمَائِلِ
 يَعْلُوهُ حَسَنًا فِي الْمَحَافِلِ
 إِلَى الشُّمُوسِ رَقِيَّ آمَلٍ
 أَعْوَجُ عَلَى الْمَرَاحِلِ
 الْكَاسُ تَسْرِي فِي الْمَفَاصِلِ
 وَرَبِيعِي الْآتِي أَعَاذِلُ
 لَا يَنْتَهِي فِيهِ الْمُسَائِلُ
 قَلْبِي عَنِ الْأَمَالِ غَافِلُ
 بِدَارَةِ الْخُلْدِ الْمُوَاصِلُ
 أَلَمَ وَلَا وَاسٍ يَسْأَلُ

الحياة والعمل

(جواب لنظم هاتنا ^(١) المسمى سؤالات)

يقول الساحل المسكين : دهرأ حيث ولم يبين لي ما أكون ؟
فقال الموج في صخب وسير : وجودي السَّيرُ والعَدَمُ الشُّكون

الملك لله

طارق أحرق السَّفين فقالوا ليس هذا من فعله برشيد
غرباء ومن لنا برجوع ذا خطار في الشرع غير سديد
أمسك السَّيف طارق في ابتسام قائلأ وانقأ بعزم شديد :
ملكننا اليوم خالصاً كلُّ مُلك إنَّه مُلك ربِّنا المعبود

النهر ^(٢)

انظر النهر جارياً في هيام بنين خضر المروج مثل المجرَّه
كان في المهد في السَّحاب نؤوماً شاقه السَّير في مروج وخضره
يبعث اللحن جارياً فوق صخر صافي اللُّون في بهاء ونضره

(١) هاتنا : شاعر ألماني.

(٢) ترجمة نظم جوته المسمى نغمة محمد مع تصرف كبير. وفي هذا النظم الذي كتب قبل «ديوان الغرب» بكثير أحسن الشاعر في بيان تصوير الإسلام للحياة، وقد أريد بهذا النظم أن يكون جزءاً من قصة إسلامية لم تكمل. وإنما أردنا بهذه الترجمة أن نبين عن رأي لجوته فحسب.

يقصد البحر ذا العباب طروباً
 منحته يد الربيع طريقاً
 يضحك الورد إن تلبث لدينا
 وهو قال عرائس المرج ماض
 وعزوفاً عن كل شيء غريباً
 ومئات الأنهار في الحزن والسَّهل
 قد حمانا المسير قلة ماء
 أفسح الصدر للرياح سريعاً
 يقصد البحر ذا العباب طروباً
 هدر النهر جائزاً كل سنّة
 فاض سيلاً على ربي ووهاد
 هائجاً زاحراً سريعاً منشوقاً
 يقصد البحر ذا العباب طروباً
 وعزوفاً عن كل شيء غريباً
 من أقاح ورجس وشقيق
 ويقول البرعوم : قف يا صديقي
 في الرّبي الوهاد غير رفيق
 يقصد البحر ذا العباب طروباً
 ثنّايه : يا فسيح المجال
 فارحمتنا من بغي هذي الرمال
 حاملاً رفقة ضعاف الحال
 حاملاً جوهرًا كثيرًا عجيباً
 جاز ضيق الشفوح والوديان
 جاز كل المروج والبلدان
 بجديد يمرّ كل زمان
 وعزوفاً عن كل شيء غريباً

الجنة

وأين بجنة لعب الليالي
 ولا فيها ليوسف غم سجن
 وليس خليلها يصلّي بنار
 وليس لصرصر فيها هبوب
 ولا ليقينها «هل» أو «عسى أن»
 وليس هناك من فلك يدور
 ولا فيها زليخا تستجير
 ولا بكليمها شرر يتور
 فزورها على أمن يسير
 ولا لوضيائها هجر مبرور

وكيف يلدُ عقلٌ ذو ضلالٍ إذا وضحت طريقٌ لا تجورُ
فلا تحفل بكونٍ فيه نقصٌ به المولى وليس به العُورُ

العشق

العقلُ يُحرقُ عالماً في جَلوةٍ منه تُغيزُ
لكئله بالعشقِ يعرفُ كيفُ في الدنيا يُتيزُ
العشقُ في الأرواحِ يخلقُ كلَّ لَوْنٍ أو يثيزُ
إنسي لأذكر راقصاً ذا الحرف أو هو بي يدورُ
بالعشقِ ترتاح القلوبُ وإنَّه فيها سعيُ
ما كل معنى ينطوي في اللَّفظ، كم معنى يثورُ
أنصت لقلبك ساعةً فلعلماً يبدنو العسيرُ

لغزُ السيف

ما جاهدٌ يُنبطُ ماء الحجر لا يهتدي بالخضر كالإسكندر؟
كنظرِ العينِ صفيٍّ مشرقُ لا بلبل وهو غريقُ نهر
مصراعه مكمل منفردُ ليس عليه منةٌ للأشطر

الجمهورية

تريد معنى الغلى من ساقطي همم وأين للثمل إقدام السليمانى^(١)
فاتبع حكيماً ودع جمهورهم، أترى بألف رأس حمار عقل إنسان؟

إلى داعية الإسلام

في بلاد الفرنج

الدَّهْرُ عَادَ بِنَارِ نَمْرُود جَوْهَرُ الْإِسْلَامِ زَهْنُ تَجْدِيد
هَلَمْ نُلِقَ الْحِجَابَ عَنْ حُرْقٍ كَالشَّمْسِ تَفْشَى الْوَرَى بِتَجْرِيد^(٢)
أَمَلْتُ خُورَ الْفَرَنْجِ مِنْ حَكِيمٍ وَرُعْتَ أَصْنَافَهُمْ بِتَوْحِيد
فَقُلْ لِأَهْلِ الْحِجَازِ عَنْ سَلْمَى وَبِثَّ فِي التَّرْكِ شَوْقَ مَعْمُود
عَلَى خِرَاسَانَ وَالْعِرَاقَ فَعَجَّ وَرَدَّ لِلْعُجَمِ شَوْقَ تَغْرِيد^(٣)
كَمْ أَنْتَظَرْنَا لِعَارِفٍ وَلَكَمْ شَجَا «جَمَال»^(٤) بِلَحْنِ مَفْؤُود
جَعَلْتَ عَشْقًا حَدِيثَ ذِي هَوْسٍ تَثَرَّتْ دُرُّ الْكَلَامِ بِالْيِيدِ

(١) نسبة إلى سليمان الحكيم، وقصته مع النمل معروفة.

(٢) أي بظهورها دون حجاب وفي الأصل بالعري.

(٣) خراسان والعراق من ألحان الموسيقى أيضاً.

(٤) جمال الدين الأفغانى.

غنى الكشميري^(١)

غنى أخو الشعر ربّ البيان وبلبل كشمير ذات الجنان
يفتح أبوابه إن ندر ويغلقها جامداً إن حضر^(٢)
ف قيل له: يا أنيس القلوب عجبنا وفعلك أمر عجب
فماذا أجاب الهمام الفقير؟ فقير بملك المعاني أمير:
الإخواننا ما رأيتهم سداد أفي الدار غيري متاع يراد؟
إذا كان في الدار ربّ العرين غنى ففيها متاع ثمين
وإن غاب عنها أنيس السورى فلا دار أفرغ منها ثرى

إلى مصطفى كمال باشا^(٣)

حزيران (١٩٢٢م)

أمة كانت ومن حكمتها نحن أثار على مرّ العصور
قد عرفنا سرّ تقدير مضي فمضينا نقتفي سرّ الدهور
شرراً كنا، أجدنا نظراً فإذا شمس على الكون تسير
شيخاً أطفأ في أحشائه نار عشتق فخنعنا في فتور

(١) محمد طاهر الكشميري الشاعر المتوفى سنة ١٢٨٧هـ.

(٢) ندر: خرج وهي لغة الحجاز اليوم.

(٣) كان الشاعر معجباً بمصطفى كمال إعجابه بالعزم والإقدام، فلما رآه يقلد الفرنج عابه وقال: إن جديده قديم أوربة.

صرصر اليبداء في فطرتنا
وعلى الأفلاك دوى صوتنا
رُبَّ صيدٍ قد أخذنا وثبةً
وغدونا يوقع الصيد بنا
«كلما أمكن طرفٌ فاركضنْ
أذبلت ریح الصَّبا فينا الزُّهور»^(١)
فأسمعنه اليوم في نوح الأسير
دون إشراكٍ كما انقضت صقور
ولنا قوش وسهمٌ في الجفير
كم أمات العزم تدبيرُ الأمور»^(٢)

الطائرة

على غصنٍ بوقت السَّحر
«لقد سلب الأجنح الأدمي
فقلت له: «يا أميرَ الرِّيح
بطائرةٍ قد ركبنا الهواء
وأية طائرةٍ في الفلك
لها عزم صقرٍ وأيدٌ عقاب
تُدوي وتزفر حين السَّيفار
من الطَّين صار لنا جبرئيل
وعى الطَّائر الألمعي الكلام
نغاً طائرٌ لطبورٍ آخر:
ومكَّن في الأرض هذا الغبي»
أفي الحقِّ إن قلبته من جناح...؟
شققنا بها في عَنان السَّماء
يفوت مداها جناح المَلَك
بلاهور»^(٣) ترنو إلى فارياب»^(٤)
وفي العيش صمتٌ كحوت البحار
من الأرض نحو السماء دليل
وأبصر ما قلته في الخصام

(١) يعني خلقنا للجهد فأضعفنا الترف.

(٢) البيت الأخير للشاعر نظيري.

(٣) لاهور تقع في باكستان وهي إحدى كبريات مدنها، وعاصمة ولاية بنجاب اليوم.

(٤) فارياب، تقع في تركستان.

فأهوى إلى ريشه ينقر وقال مقالـك لا أنكر
 فيأمن يروثك عقدٌ وحلٌ وفي قيد سحرك علوٌ وسفلٌ
 أصلحت في الأرض بعد غناء فجئت لتصلح جو السماء^(١)

العشق

هو الحرف ضاءت عليه القلوب وليس بسرٍ وسراً يرى
 هلم أنبتك قول الخبير بمن قد رواه وعمّن روى
 وعاه الندى خلصةً في السماء وأسمعه الورد قطر الندى
 وباح به الورد للعنديل عن العنديل روته الصبا^(٢)

(١) البيت الأخير للشيخ سعدي الشيرازي.

(٢) أبيات تمثّل تطور العشق من قطرة إلى غناء بلبل إلى خفق الريح.

القسم الثالث

الخمر الباقية

(غزليات)

حبا الربيعُ زبانا محافـلُ التَّغْرِيدِ
 فاستيقظت أكمـام للبلبل الغريـدِ
 لا تحسبن أن خلقتنا في صبح دهر مديـدِ
 فما تزال خيـالاً حوى ضمير الوجـودِ
 لا تفتـرر بعـلـوم الكأس خيـر شهيدِ
 إنَّ الفقيه مـرينـب فلا تـكن بـمـريدِ
 ضمَّ الربيعُ شتـيـ ست الأوراد بالتـزيدِ
 وبـتَّ ريحاً ولوناً أنظارنا في الـورودِ
 من يحكمـن نظـراتِ لنفسه في شـهودِ
 لم يشد يوماً بغيـب كـلاً ولا موجـودِ
 قد قال في ألحان فاسـ منع مقال شـيخ رشيدِ
 في كل دهر خـليـل والنار من نمـرود^(١)
 لا تلحـين أهـل دـير فالعشق جـد عـنيدِ
 أقـام أو ثـان حـبـ في القلب من محمـود^(٢)

(١) إشارة على قصة إبراهيم الخليل ونمرود الذي ألقاه في النار.

(٢) السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند الملقب بمحطم الأصنام.

يَضِيعُ شِدُو حَيَاةٍ يَنْسَابُ بَيْنَ الْهَنُودِ
فَالْمَيِّتِ لَيْسَ بِحَيٍّ بِالنَّفْخِ مِنْ دَاوُدَ

عَقَلْنَا يَنْحَتْ رِبَا كُلِّ حِينٍ فَهُوَ مِنْ قَيْدٍ إِلَى قَيْدٍ رَهِينٍ
ارْفَعْ الْبَرْقِعَ جَهْرًا لَا تُبَلِّ لَيْسَ فِي حَيْكٍ غَيْرِي ذُو حَنِينٍ
أَنَا مِنْ عَيْنِي غَيُورٌ نَاسِجٌ نَظْرَاتِي لَكَ سِتْرًا فِي الْعَيُونِ
بِسَمَةِ خَلَسٍ وَدَمْعٍ وَرِنَاً لَيْسَ فِي الْخُبِّ سِوَاهَا مِنْ يَمِينٍ
حَبَّذَا الْعِشْقُ فَنِي يَوْمَ النَّوَى زَادَ بِاللَّوْعَةِ عَهْدٌ لَا يَمِينُ
أَيُّهَا الطَّائِرُ مِنْ صَدْرِي اقْتَبِشْ لَتَزِيدَ النَّارُ فِي هَذَا الْأَنِينِ
عُودَ تَيَمُورٍ مَضَى لَا لَحْنُهُ هُوَ فِي لَحْنِ سَمَرْقَنْدٍ يَمِينُ
سَادَنُ الْكُعْبَةِ لَا تَأْذُنُ لَهُ فَلِإِقْبَالِ إِلَهٍ كُلِّ حِينٍ

شَكَاوِي أَمْرٌ عَجِيبٌ مِنْ نُورِ عَيْنِي شَكَاوِي
فَنَظَرْتَنِي لِي حِجَابٌ وَأَنْتَ فِي الْجَلُوتِ
أَبْلَغُ خَلَائِقِ نُورٍ الْحَقُّ مِنْ كَلِمَاتِي ^(١)
حَذَارِ كَفِّ تَرَابٍ لِلنَّفْسِ فِي نَظَرَاتِ ^(٢)
فِي مُحْفَلٍ مِنْ رَيْسِيعٍ نَبْذُوبٍ مِنْ حَرَاتِ
بِالرَّيْشِ مِنْ شَرَارٍ فِي الْفَجْرِ مِنْ أَهَاتِ

(١) يعني بخلائق النور الملائكة.

(٢) كف التراب: الإنسان، والنظر إلى النفس من فلسفة إقبال التي سماها «أسرار خودي».

يا واهن النفس تدري
 حواءك كـونَ بعيدُ
 مثل الشقيق تراني
 والقلب غرضة رمي
 في عرف أهل قلوب
 لكعتبي لسم أسافر
 وكم قيل أقاموا
 في دارة ضياء فيها
 فاخلق بطينك خلقاً
 مثل اتسام شرار
 إن لم تكن ذا فضول
 العشق أبعد شأناً
 في العجم أزكى نشيدي
 والغرب من نار شوقي

من أين لي نغماتي؟
 ممن عالمي وجهاتي
 بالزّوض في حشرات
 من أسهم اللحظات
 الكدح سر الحياة
 للأمن في طرقاتي
 وأدبروا في شتات
 الهلال في مشكاة^(١)
 ذا يقظة وحصة
 تلبث الفرصات^(٢)
 فتلك إحدى نكاتي
 من ضائع الأتات
 ما باخ من جمرات
 لم تأتهم نفثاتي

في ذلك الحفل سؤلي
 لئذاك أزجى غنائي
 في خلوة كل لفظ
 عن محرم بي حقيق
 وفيه لحن الصديق^(٣)
 فيها كستر صفيق

(١) يعني الدنيا جعلها داراً صغيرة فيها القمر كسراج في مشكاة.

(٢) فرصات: جمع فرصة.

(٣) اللحن: الرمز في الكلام.

يَبِثُّ قَلْبِي حَـدِيثًا
مَنْ أَجَلَ نَظْرَةَ وَجَدٍ
مَطَهَ نَظْرَاتِي
كَالْكَيْمِ كُلُّ أَمُورِي
لَكِنْ الْجِلْوَةُ شَمْسٌ
كَالْمَوْجِ، لَيْسَ كِيَانِي
وَلَسْتُ فِي الْبَحْرِ أَبْغِي
مَا بَيْنَ عَيْنٍ وَرَأْيٍ
مَهْمَا تَبَاعَدَ عَنِّي
قَدْ خَطَّ فِي سِتْرِ عَيْنِي
بِشَعُودَاتِ أَرَانِي
فِي قَبْـةٍ قَدْ أَحَاطَتْ
شَوْكَ بَجَنَبِ سَمَاءٍ
لَا أَسْـتَرِيحُ بِغُـشٍّ
طَوْرًا بِشَاطِئِ نَهْرٍ

بِمَقْلَتِي وَبِمَوْفِي
لَوْجَهَكَ الْمَرْمُوقِ
بِـدَمْعِ عَيْنِ طَلِيْقِ
لَعَقْدَةٍ وَلِـضَيْقِ^(١)
أَنْمُو بِقَلْبٍ مَشُوقِ
يَهَابِ سَيْلِ الْعَقِيْقِ^(٢)
إِلَى الشُّطُوطِ طَرِيقِي
بَيْنِي وَبَيْنَ صَدِيقِي^(٣)
فَكُلُّ حَسَنِ رَفِيقِي
نَقُوشُ كَوْنٍ أُنِيقُ^(٤)
فِي قَيْدِ سَحْرِ وَثِيقِ
لَا أُرْتَضِي بِالضَّيْقِ
لَا بَدَلِي مِنْ مُرُوقِ
مِنْ لَذَّةِ التَّحْلِيْقِ
طَوْرًا بِرُوضِ شَقِيقِ

(١) يتخيل الشاعر أن كم الزهر لانطباقه معقود.

(٢) العقيق: هو كل سيل كبير يشق الأرض وواد بالمدينة.

(٣) الرأي: رأي العين.

(٤) في هذا إشارة إلى الصور التي تسمى خيال الظل، فالستر يظهر عليه الخيال لا الحقيقة، فهو يقول: إن هذا العالم نقوش في ستر العين تخدع عن الحقائق.

المغني الصبيح في الحنان
وتحيي دم الريع شقيق
نغمة تفتح العينون لمعنى
فتأمل بعين عشق وأبصر
فعيون العقول تظهر فيها
وعن عشق خذ دروس جهاد
إنما العشق جوهر لشعور
ولنا غاية من الشمس أعلى
إيه يا قطرة عن النفس تاهت
إن عاراً معيشة البحر إن لم
يا جهولاً بقدر نفسك لولا

ورياض الريع ألواح ماني^(١)
أي ظمأ به إلى الألوان؟
ضاق عنه طرائق التبيان
منه آياً تُضيء دون بيان
هذه الكائنات سحر العيان
وافعلن ما تشاء في كل آن
وهو روح الإدراك والعرفان
إنها الشمس ضوة الزكوان^(٢)
تطلبين المحال في الأكوان
تطلعنني منه درة ذات شان
أنت كان العتيق كالصوان^(٣)

قد هدمت الأصنام لم أرض شكلاً
ومن العشق قد رأيت كياني
وبدبر ضراعتي وهو أني
ومن الذكر سبحتي يميني
منبع الحزن فيك غير نضوب

أنا سيل هدمت كل سدودي
كان عقلي يُريني وجودي
وصلاتي بكعبة التوحيد
فاعجب من زئاري المعقود
دمع قلبي حبسه عن خدودي

(١) ماني: صاحب مذهب المانوية كان ماهراً في التصوير، وترك الواحاً مصورة في كتاب غرف باسم «أرزنك» ضرب به المثل.

(٢) الصوة: أحجار تجعل علامة على الطريق.

(٣) يعني أن الإنسان جهل قدر نفسه وقدر أشياء ليس لها قيمة إلا بتقديره.

راق قولي، وسيرتي لجنون: خمرُ شوقٍ لسكرتي وشهودي

طوبى لمحرق عقل	بنسارٍ راح عتيق
مَنْ يعتني بمتاع	مَنْ ناره كالشقيق
أوحى الزَّيغُ إلى الزا	هدين يبع الدلوق ^(١)
فاغرس بالكأس الحميما	بستان وجهه أنيق
قلبي رثى لفقيه	مجاورٍ بالعتيق
ما اتباعه شيخ خان	فتوى بكأسٍ رحيق
اللحنُ لا تقدرونه	على غنائٍ الرقيق
فبرقة اللحن تغشى	إسكندراً بحريق
لروض «ويمر» تهدي	الصُّبا سلام مشوق ^(٢)
فذي الديار أضاءت	لعينٍ ذي تحقيق

نُوح ليلى القلب	والهموم في الفلق
والأنينُ من شمر	والقبريض من حرق
أيمن حرص مجتهد	من تضرُّم العشق

(١) الدلوق: جمع دلق، وهو لباس بالٍ مرقع يلبسه الزُّهاد والشحاذون.

(٢) ويمر: مدينة في ألمانيا، أقام فيها الشاعر غوته كثيرا ومات ودفن فيها.

ذاك فأس فرهاد	ذاك خسر في مذق ^(١)
قل لساكني حجب	عن ترابي القلبق :
ذا العُبار ذو نظـر	ذا التـراب ذو قلبق
مطربتي تـسكرني	وتزيـد فـتي حرقـي
نغمات مستحر	بـالـقلوب ذي علق
من حذاره أرض سمر	فندبت في فـرق
من هجوم جنكيز	أو هلاكـو في الحلق ^(٢)
هـات مطربـي غـزلاً	نظم مرشـدي اللـبق
لأنـور من لهـب	التبريـز بـالحرق

منيتي أن يتجللى	ذلك البدر التمام
فيدي ثمسك صـدي	ويعينني اقتحام
ويقول الحسن: صبحي	ليس يغشاه ظلام
فيقول العشق: وجـدي	ليس يخبر والهيـام
ليس من يومي وأمنسي	وغـذي في زمام

(١) فرهاد: المهندس، وخسرو برويز: ملك الفرس، وكان وعد فرهاد أن يهب له معشوقته «شيرين» إذا شق طريقاً في الجبل، ففعل ولم يظفر بأمنيته، فضرب فرهاد مثلاً في العشق الخائب.

(٢) أشار الشاعر أكثر من مرة إلى سمرقند وجنكيز كأنه يُشير إلى ما أصاب المسلمين من هذه النواحي.

ليس لي نَجْدٌ و غوَرٌ ليس يحوييني مقام
خمرة الأسرار أبغي وكؤوساً لا تـمـرام
وبحانات مجوس دائر عندي جـمـام^(١)
لا تَقُلْ : مالي ولحنأ لا يرى فيه انسجام
فأنسا طائر غيب عن حبيبي لي كلام
أرفع الستر وأشدو لي في اللحن مقام^(٢)
أنا صمصام دماء لي بالغمد كـمـام^(٣)



عُضْنُ الحياة ندي من ظمئنا في الطّـلاب
عين الحياة أراها تعلّمه الهَيّاب^(٤)
فَمَنْ أَبْتُ حـديـثي وأين أزجسي ركبـاي؟
ولا تـؤثر آهـبي ونظرتي في حجاب
فزمز من في غناء واخفض نوح الزباب^(٥)
فلا تـزال طـيـورٌ تنـوح تحت نقاب
أهل الحجاز تولوا قوافلي بـسـلاب

(١) المجوس في الشعر الفارسي كالتصاري في الشعر العربي، يذكر الشعراء خمرهم وحناتهم.

(٢) من مقامات الموسيقى.

(٣) الكعام: هو الكمام للجمل، الذي يخشى صياله - وبالفتح جمع كعم، وهو وعاء السّلاح.

(٤) عين الحياة في الأساطير: عين من شرب منها لا يموت، وقد شرب منها الخضر، والشاعر

يقول: «إن الحياة هي عطشنا في الكفاح لا ورود عين الحياة».

(٥) الزمزمة: كلام خفي.

حيي بنا عريبي
وزن عجم وهند
فأصل هذي اللابي
هلم فالزأخ عندي
وخمرة القبول أصبي
فلا تفقه بعتاب
لا تبغ وزن خطابي
بالليل دمع انتحابي
من دن عالي الجناب^(١)
من خمرة الأعناب

من كرى الموت لا تفيق عيون
إن من دونك الوجود محال
قد حوى الكون قلبنا وهو فيه
نغماتي الضعاف أحرقن صحي
إن تضرن الصبا بطل فدعها
فإلى الحق وجه القلب واصبر
شدة الوثن هذه وعليها^(٢)
دون نور تفيضه من سناكا
ومحال فناؤنا في جسمكا
عقدة لا تحل فاكظم فاكبا
حرقتي نغمة أبت أن تحاكا^(٣)
نار قلب الشقيق تأبى فكاكا^(٤)
لا تؤمل بغيره إدراكا
جبهات الأباة تأبى جكاكا

(١) جلال الدين الرومي.

(٢) أبت أن تنسج، يعني: لا يستطيع إظهارها.

(٣) يتخيل الشاعر أن الطفل خفف من حرقه الشقائق الملتهبة، يقول لا نيالي إن لم يسقط الطفل فهذه النار لا تفارقنا بأية حال.

(٤) الوثن: جمع وثن.

كتب إلى أحد الصُوفية^(١)

لهيب الوجد من أسماء لا عندي ولا عندك
وحرُّ القلب في البيداء، لا عندي ولا عندك

وشيتخ أنت في خان وإني ناشئ ساق

عطاش نطلب الصهباء لا عنيد ولا عندك

رهناً قلبنا والدين حبّ الغيد من عجم

ونارُ الشوق من ظمياء، لا عندي ولا عندك

حطام كان أصدافاً على شطّ لقطنائها

فقدنا الذرّة البيضاء، لا عندي ولا عندك

وبلوى يوسف المفقود من يطيع ذكرها

ونخفض القلب في زلخاء^(٢)، لا عندي ولا عندك

(١) في هذه الأبيات مثالان من الشعر الفارسي، الأول أن وزن الهزج فيه مفاعلين ثماني مرات وهو في العربية لا يزيد على أربع، والثاني القافية المردوفة والردف هنا «لا عندي لا عندك» والروي الهمزة الممدودة قبلها.

(٢) زلخاء: زليخاء عاشقة يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام.

كفانا النور في المصباح قد أخفّته أستار

فطوق النور في سيناء، لا عندي ولا عندك^(١)

قلبتنا كـوَنٌ ولكن	ما به دور القمر
دورانٌ ليس فيه	من عشيّ أو بكر
ويل ركبٍ قد أسفت	العزم فيه وضم
فهو يرتاد طريقاً	ليس فيها من خطر
فدع العقل وموج	العشق صارع لا تقرر
فبذاك النهر ضيق	ليس فيه من دُر
كل ما يجري خيالكَ	أو خيالي فبي الأثر
هو في العين ولكن	مُستسرٌ كالنظر

غير مجدي بكاؤنا	ويلتنا اضعافاً ذا النعم
نوح قلبٍ ممزق	حاصل الغم والألم
خفق القلب ساعياً	يخلق الذير والحرم
هو فينا محسِّدٌ	نحن فيه على قدم

(١) الطوق: الطاقة.

نبذ البستر أهله
غيرة العشق فأنظرن !
مطرب أحيان في الدجى
ذوق راح مجرم
هي مسير حياتنا
ليس للموج منزل
أشعل النار في هشمي
«منزل الكبرياء لى»
لذت بالنفس في حرم^(١)
أينما شوقه احتدم ؟
قد شدا معجب الحكم
شرب راح لنا أمم
ما سوى السير يغتنم
أو طريق إذا استطم
من قال فى القدم :
مرشد الروم^(٢) ذا العلم



أبد من طينك ناراً تضر
ملك جم «نظيري»^(٣) مصرع :
ساحر العقل يعبي جنده
بمقام ولحون لم تحط
نظري في النفس أحكمت فلم
فتجلى الحب في كل الدنى
لا تحل بعد هذا يقدر
«ليس من قومي من لا ينحر»
لا تبرع للعشق جند ينصر
عود سلمى كل حين يقطر
يتوجّه لسواها النظر
وأنا في شغل لا أنظر

(١) أهل السر الذين في عالم الغيب والشاعر على مذهبه في الذاتية، يقول: إنه لم يبال بالنظر إلى

عالم الغيب بل نظر إلى نفسه، وإن عشقه الغيور لم يتجه إلى غيره بل غيره نظر إليه.

(٢) مرشد الروم، يراد به جلال الدين الرومي.

(٣) نظيري النيسابوري، أحد الشعراء الفارسيين الكبار، هو وجمشيد أحد ملوك الأساطير الفارسية.

ما جنونُ العشق في البیداء سدى
وبصید الوحش في البحر اهتفى
ملّ عيني دليل ما مضى
أصبحن شرباً خليعاً واخذرن
غاية الإفصاح لمخ وكنى
فلغى الخلوة رمز يُعبر^(٣)
في قرى الحسن تعالوا نجار^(١)
لا تقل: زورقنا لا يُحرر
في طريق ليس فيها خطر
عهد شيخ ليس فيه ذار^(٢)



تضيّق بدار أصنام
ولكن نحو مشتاق
فاقدم واتخذ مغنا
وكيف وأنت ربّ الدّا
تغير على ذوي التسيح
وتطرق أهل زئار
وذو جحفل لجب
وطورا في جماعات
وتأتي باللهيب إلى
ولا ترضى بمحراب
تسير بشوق أصحاب
كف في أرواح أحباب
ر تدخل خطو مرتاب؟
تحمل كل أسلاب
بليلى فعل نهاب
لسفك دماء أصحاب
بكاسات وأكواب
كليم غير هيّاب^(٤)

(١) لعل الشاعر يُشير إلى مجنون ليلى وهيامه في البید، ويعني أن هذا الهيام في فضاء الطبيعة لا بد أن ينتهي إلى صلاح الجماعات في القرى.

(٢) الذار: الشره وحدة الخلق.

(٣) يعبر: كتعبير الرؤيا.

(٤) إشارة على النار التي لاحت لموسى عليه الصلاة والسلام.

وتأتني كالفراش إلى
فيا إقبال خذ كأساً
سفك الغرب من كامن
لنفسك منك سلاب
يتيم شمع كابي^(١)
بخمر «الذات» لهاب

لسدعات حان العجم ليست
ذا أحمد العربي نظاً
ما حيلتي والعقل في
نظرات عينك، فانظرني
جيل العقول تفوقها
فاهج كنيس تفلسف
كفء ناري الحامي
رته تحيط جهاتيه
عقد له متواليه
حلت طلسم مجازيه
خفقات قلبي الداميه
لحرير ناري الحامي

أنت كالمرآة تفتني في جمال الآخرين
من نواح الطير في الأحرام فاقبس
وتعلم جاهداً خفق جناحك وطر
أنا حرّ وغبور مسرف في غيرتي
إيه يا أقرب من روحي ولا أبصره
فاغسل قلباً وعيناً من خيال الآخرين
ذلك العشّ الذي شدت بمال
أنت لا تستطيع طيراً بجبال الآخرين
ممكن قتلي بكأس من زلال الآخرين
عندنا هجرك أحلى من وصال

(١) إشارة إلى اصطفاء الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٢) الأحرام: جمع حرم.

(٣) وهذه قطعة أخرى بنيت على الرمل المثلث - والرمل في الشعر العربي لا يزيد على ست تفعيلات والقافية فيها مردوفة بكلمة الآخرين، والروي اللام التي قبل الرديف.

عندليب الربيع جُنَّ غناء
لا مغنٍّ ولا مزاهرٍ فيه
محرم السرِّ من يسدد ضرباً
من وراء الستور أنبت سرّاً
لا تعيّف وخذ سبيل ودادٍ
أين في دارة التراب مقام؟
زهرة من رياض كشمير جسي
وأغاني واللحون نمثها
وعروش الشقيق تُرهي بهاء
ذاك لحن من المغيّب جاء
في وتار الحياة أيا ن شاء^(١)
لست أفشي، فالدهر لعباً أساء^(٢)
قدّر الله في الحياة التقاء
كل شيء كالزمل يمضي هباء
وبأرض الحجاز قلبي أضاء
أرض شيراز، حبّ ذلك انتماء

نحن تربّ، وكالنجوم سفارا
نحن من شعلة الحياة جميعاً
قل لأهل السّماء: إن تراباً
نحن في العشق زهرة في نسيم
نحن في المرج نرجس ناظرات
من خضمّ الزرقاء نبغي قرارا
لذة «الذات» فرّقنا شرارا^(٣)
نال بالعقل في السماء مطارا
وبكدي الحياة نقدح ناراً
كلّنا أعين فآلق الستارا

ليردّ العُرب دمعي دامياً
وليردّ العُجم أنفاسي وقد
روضة تنبت ورداً وشقيقاً
صوّحت جناتهم، روضاً أنيقاً

(١) الوتار: جمع وتر.

(٢) إشارة إلى الألعاب من وراء الستار كالذي يسمّى خيال الظل.

(٣) يعني: لذة الاستقلال والوحدة كما يرى الشاعر في فلسفة «الذات».

يا ترابي ! فلستكن قلباً خفوقاً
سار لا يرضى مقاماً أو طريقاً
عقلنا اليائس فاحذره رفيقاً
قد حبا قلباً إلى اللحن مشوقاً
علّ شدي مضرّم فيك حريقاً
قطرة فيك غدت بحراً عميقاً
بحياة الكدّ والكّدح خليقاً

من حياة وخلود كدحنا
صحب الله فؤادي هائماً
صوّر اليأس على آفاقنا
ويعود قطعّت أوتارّه
أنت نشء وكلامي شغل
ليس في قلبي إلا أن أرى
لا عرا الروح هدوء ولستكن



ولا سسنا الزينات
من الملوك الأبيسة
وفتيّة في شبات
في الفجر من آهات
في وإسع الفلوات
هاد إلى الطرقات
أضاعته في شبات
بالشهر والسنوات
ما فيه عيش مواتي
وعن جهاد الحياة
كاتبها الهفوات
فيها سوى نظرات
بذيله فسي ثبات

لا التّاج يزهر عليه
فقيّر حيّك، لكن
في الشيب ماتت قلوب
فما الصدر نصيب
لا تقعدن عن طلاب
فما بعصرك هذا
غفلت عن سرّ وقت
وقت عداه حساب
هذا الرّباط قديم
غفلت عن سرّ عيش
ماذا يخطئ من الذنب
ديالك ما قد أصبنا
إقبالاً الحرّ أمسك

فما يرى في رباط من بائعي الخرقات

عشقي الجريء صدره سعي
إن يكمل الهيام صار ذلاً
إليك جئت في سجود وجد
هب سيف «لا» لكافري وأبصر
لا بد من دور يعيد أمسي
نورك فيه للذنى نصيب
أحدث الرحمن في حجاب
أيارسول الله ! إن ربي
وحكمتي عن شرر تخور
قيس بـ «ليلى» عندنا شهير
سيماء فوق جبهتي تفور
«إلا» ي كيف في الدنى ثور^(١)
في جلوات من غدي يسير
«سينا» ي كيف فاتها تنوير
وفي حماك منطقي جهير
محجب وأنت لي ظهور

أسفي عليك نحت أصناماً آخر
أسفي عليك صهرت في نار الفرن
أسفي عليك فما وزنت بنظرة
أسفي عليك قرأت أسفار العقو
أسفي عليك تطوف من دير إلى
عوداً ولم تبحث بقلبك عن أثر^(٢)
حج ومن لحاظ العين روحك قد قطر
في حلة فيها التراب له قدر
ل وما فهمت حديث وجد يستطر
حرم وفي معناك لم تجد النظر

(١) يشير إلى النفي والإثبات في «لا إله إلا الله» يعني: هب لي أنا الكافر توحيدا وانظر فعلي.

(٢) هذه الأبيات مردوفة في الأصل تكرر في أواخرها الكلمة التي ترجمتها «أسفي عليك»، وقد كررتها في أول كل بيت.

(٣) ذاب في نار الفرنج وأفنى نفسه بالنظر إليهم وتقليدهم.

القسم الرابع

نقش الإفرنج

أَبْلَغِي يَا رِيحُ عَنِّي عَالَمَ الْإِفْرَنْجِ جَهْرًا :
 إِنَّمَا الْعَقْلُ أَسْوَرٌ زَادَهُ التَّحْلِيلُ أَسْوَرًا
 يَتَحَدَّى الْعِشْقُ بَرْقًا مِنْهُ هَذَا الْعَقْلُ فَرًّا
 سُجِرَ الْعَقْلُ، وَكَانَ عِشْقٌ بِالْأَكْبَادِ أَدْرِي
 تَبَصَّرُ الْأَعْيُنُ لَوْنًا حِينَمَا تَبَصَّرُ زَهْرًا
 وَوَرَاءَ اللَّيُونِ مَعْنَى هُوَ أَجْلِي مِنْهُ يُدْرِي
 مَا عَجِبْنَا أَنْ إِعْجَا زِ مَسِيحٍ نَلَيْتَ خُبْرًا ^(١)
 قَدْ عَجِبْنَا لِمَرِيضٍ دَاوَهُ عَنْدَكَ أَشْرَى ^(٢)
 تَجْمَعُ الْعِلْمَ وَتَلْقَى الْقَلَمَ سَبَّ لَا تَرْغَبُ فِيهِ
 أَوْ نَقِصْ دُثْمَيْنِ ضَمَاعٌ فِي كَيْفِ سَفِيهِ
 إِنَّمَا الْحِكْمَةُ أَمْرٌ لَيْسَ فِيهِ مِنْ نَهَائِهِ
 لَيْسَ فِي كِتَابِهَا لِلْحُبِّ وَالْعِشْقِ بَدَائِهِ ^(٣)
 قَطَعْتَ سُبُلَ قُلُوبٍ يَقْطَعُ بَابَ الْعَمَائِهِ
 ذَاتُ طَرَفٍ ذِي كَلَامٍ هُوَ فِي الْفِتْنَةِ آيِهِ
 وَدَلَالٍ لَا تَسْرَى فِيهِ إِلَى الْقَلْبِ سَرَايِهِ
 لَيْسَ فِيهَا لَذَةُ الْوَحْدِ مَزَّةٌ مِنْ غَمَزِ الرِّعَايِهِ

(١) الخطاب لعالم الإفرنج.

(٢) شَرَى الداء: إذا اشتد، وأَشْرَى للتفضيل، يعني: أنه كالْمَسِيحِ فِي الْمَعْجَزَاتِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَشْفِي.

(٣) أَي: لَيْسَ فِي كِتَابِهَا أَلَمُ الْعِشْقِ وَحُزُّهُ كَمَا يَبْرِي الْقَلَمَ.

طُوت اليَد ولم تظـ طافَت البسْتان لم تبـ
 فهُلُّوا نَسأل العِشْق واقصدوا العِشْق سُجودا
 ففر بظبي في النهايه بلغ من الأزهار غايه
 سدداداً ورشاداً وابلغوا منه مُرادا

سلكَ العقلُ طريقاً ملاً العالمَ هرجاءً
 فبي يديه كيمياء لم يَضغَ إكسير حبٍ
 سحره قد خالَ فينا ذاك قَطَّاعَ طريقٍ
 فثَمَ قد هَدَمَ الأفرنـ ثمَّ في مُقلَّة عيني
 كَم زرعنا من شرارٍ كَم عقودنا وحللنا
 ذا شعابٍ حين سارا وأصارَ الماءَ نارا
 ردَّت الرملَ نضارا في قلوبٍ أو أنارا
 فقبلناه جهارا قطعَ الشَّيلَ نهارا
 حج والنقعَ أثارا ذرَّ من ذاك غبارا
 وحصدنا من لهيبٍ عَقْداً فوق القلوبِ

أينَ مِن خفق الشَّواهِد أينَ من يلقطُ من حب
 من فتى يلقطُ عنقبو أينَ من يسري بروض
 من جناح العنديلِب على الأرض تريب
 د الثُّريب لا يخيب كنسيم في هبوب

مَنْ بِصِيرٍ فِي ضَمِيرِ الزَّهْرِ
 أَيْسَنَ فَوْقَ الْأَرْضِ ظُنُّ
 مَنْ طَمُوحٍ جَاوَزَ الْأَفْلا
 حُبُّنَا عَقْلٌ فَسِيحٌ
 نَوْرُ أَمَلِكِ وَنَا
 نَحْنُ مِنْ خَلْوَةِ عِشْقٍ
 فَجَعَلْنَا مَوْطِئَ الْأَقْدَا
 فَانْظُرْ هَمَّتْنَا كَيْفَ
 قَدْ أَضَعْنَا الْكَوْنَ جَهْرًا
 قَدْ نَزَلْنَا شَبَطَ نَهْرٍ
 تَبَصَّرُ الْأَعْيُنُ سَطْرًا
 قَلْبُنَا يَيْتُ هَذَا الدَّيْرُ
 فَرَمَى النَّارَ بِرَطَبٍ
 شَعْلَةٌ كُنَّا جَمِيعًا
 أَهْلُ شَوْقٍ وَحَنِينٍ
 أَصْبَحَ الْعِشْقُ غَوِيًّا
 فَتَنَسَّ لِلنَّاسِ فِيهَا
 سِرٌّ لِلْيَسْرِ يَسِيبُ
 سَارَ أَوْ شَكَّ مَرِيبُ
 لِكِ لِمَسْرَى الرَّحِيبِ
 قَدْ أَحْطَا الْعِيَالَمِينَ
 رَ الْآنَسِ فِيهِ دُونَ مَيْنِ
 قَدْ بَرَزْنَا بِالْجَايَا
 مَ فِي الْأَرْضِ مَرَايَا
 فَ لَعَبْنَا بِالْعَطَايَا
 حِينَ حَزْنَاهُ خَفَايَا^(١)
 نَبَصَّرُ الْمَوْجَ سَرَايَا
 مِنْ غُدُوٍّ وَعَشَايَا
 لَا يَبْغِي سِيَّابَا^(٢)
 وَيَبِينُ فِي الْبَرَايَا
 وَاتَّبَعْنَا كَالشَّرَرِ
 وَرَجَاءٍ وَنَظَرِ
 قَاطِعًا كَلَّ وَكَاءَ^(٣)
 خَفِقَ حَوْتَ فِي الْعَرَاءِ

(١) يعني: استولينا عليه بقوة أرواحنا، وبذلت أيدينا احتقاراً.

(٢) في الأصل: الدَّيْرُ الْقَدِيمُ، وهو كناية عن الدُّنْيَا.

(٣) أَحْسَبَ الشَّاعِرُ يَقْصِدُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى أَنَّ الْعِشْقَ، وَهُوَ الْوَجْدَانُ السَّلِيمُ قَدْ صَارَ هَوًى وَطَمَعًا، فَفَعَلَ مَا فَعَلَ (المترجم).

آثر الحَزْبَ على الخَفِضِ
 لم يَرَوْ السَّيْفَ إلا
 قطع الطُّرُقَ وسَمَّى الـ
 أخذ السَّدْفَ وغَنَّى
 رافعاً في الكَفِّ كأساً
 حان أن نُحَدِّثَ نهجاً
 فاغسلن لروح فـؤادٍ
 لحن إسكندر ولَّى
 وأتى فرهادُ يغني
 يوسفُ فارق سجناً
 وخرافات زليخا
 كلُّ سرِّ كان يخفي
 ومضى حفلُ الثُّدَامِ
 فافتح القين وأمعنْ
 إنما تنسي الحياة اليوم
 أنا في الأرض بصير
 أبصر الذُّرَّات طرأ
 وأرى الحبَّة تحت الثُّرب
 ذات أصلٍ وفروع
 وأرى الأطـَّواد ريشاً
 وأرى السَّريش ثباتاً

وعَبَّيْ للقاء
 مِن صدور الأوفياء
 قَطَعَ جَفْظَ الأمناء
 راقصاً دون حياء
 مِن دماء الأصفياء
 ونجد النظارا
 وأجد الأسطرا
 وتقضى لحن دارا
 ملك برويسز جهارا
 وعزيز الملك صارا
 وزقاه تـتـوارى
 غشي السُّوق نهارا
 ويرى القبول بارا
 لتري ما لا تـرى
 كوننا آخراً
 عارف سر الحياة
 كنجوم نـاظرات
 من قبل نبات
 وثمار يانعات
 في رياح قَلَقَات
 كجبال راسـخات

وانقلاب ليس يحو
 قد أراه لست أدري
 جئذا المبصر جهراً
 ويرى جوهراً لحين
 بالحياة التهرُّ جار
 عساق الزاح فتى
 كلُّ أهل لوجود
 ووجود غيّر أهل
 إنما العشق عيون
 ومضى الحسن ظهور
 إن هذي الأرض فيها
 سيُرى الدمع عقيقاً
 «في ظلام الليل جاء تـ
 أطفئ الشمع ولاحت

يه ضمير الكائنات
 كيف في العين يواتي
 فارساً في ذا القتر
 في اهتزاز بالوتر
 وسيجري في مضاء
 وسيتقى في قُتاء
 سوف يحظى بالضياء
 سوف يحويه الفناء
 ترقبُ الحسن ظمء
 وسيدو في جلاء
 لي دموع من دمء
 في حشاها ذا بهاء
 نني من الصبح بشاره
 لي من الشمس أماره»^(١)



جمعية الأمم

بؤساء الأرض راموا شتناً
 لتزول الحزب في هذي العصور
 وسمعنا أن تباشي قبور
 شركة شادوا لتقسيم القبور

(١) هذا البيت يضمن في شعر إقبال وهو لغالب (الشاعر الأردوي المشهور).

شوبنهاور ونيتشا^(١)

طَارَ مِنْ غُيْتِهِ يَسِيرُ بِرَوْضٍ فَأَصَابَتْهُ شَوْكَةٌ مِنْ زُهور
 لعن الرّوضَ والزّمانَ ونادى بشورٍ لنفسه والطُّيور
 ورأى وسمة الشّقّائقِ جوراً وطلّسم البرعوم خدغُ خيّر^(٢)
 قال ذي الدّار شَيِّدَتْ باعوجاج كلّ صبحٍ بها إلى ديجور
 نأخ حتّى تقاطرت نغماتُ من دماءٍ، بدمع عينٍ غزير
 وشجا الهدهدُ التّواخُ فوافى ينزع الشّوكَ من جناحِ الكسير
 قال: أخرج من كلّ خسرك ربّحاً مزقُ الوردُ صُدْرَه للغير
 واجعل الجُرحَ بلسماً فسترضى وأثْلَفِ الشّوكَ تغدُ كُلّك روضاً

الفلسفة والسياسة

لا تقيسوا فلسفياً بارعاً بـسياسيّ وبالعدل احكموا
 ذاك عينٌ جهرت في شمسها^(٣) وجمودُ عينٍ ذا لا تُرحم
 ذاك في الحقِّ دليلٌ واهنٌ ذا لدى الباطل قولٌ مُحكم

(١) فيلسوفان ألمانيان معروفان، الأول متشائم، والثاني يعجب بالقوة واحتمال الشدائد في هذه الحياة.

(٢) في الشقيقة سواد يجعلها الشعراء وسمة من الحرقه. وطلسم البرعوم يريد به انطباقه و@ كالطلسم.

(٣) جهرت العين: لم تبصر في الشمس.

نيتشا

ثَارَ مِنْ ضَعْفِ الْإِنْسَانِيِّ قَلْبِهِ فَبَرَى الْخَلْقَ الْمَكْمَلِ لُجْهِ
فَتْنَةً فِي الْغَرْبِ مِنْ ذِي جُنُونٍ كَانَ فِي دَارِ الزُّجَاجِيِّ ضَرِبِهِ

بايرُن^(١)

قَطَرَاتُ رَشَحَتْ مِنْ كَأْسِهِ شِعْلَةٌ تَنْمُو كَوْرِدٍ وَشَقِيقِ
ذَوِ رِسَالَاتٍ بِهَا حَرُّ الْجَوَى فَرَسَوُلُ الْحَبِّ مِنْهَا فِي حَرِيقِ
ضَاقَ بِالْإِفْرَنْجِ بَرْدًا طَبْعُهُ فَهُوَ فِي الْأَوْطَانِ فِي غَمٍّ وَضِيقِ
وَحَيَالٍ كَمْ بَنَى مِنْ مَلْعَبٍ فِيهِ لِلْحَوَرِ مَرَاخٍ وَبَرِيقِ
جَلَوَاتٍ لِلشُّبَابِ اتَّلَقَتْ فَهُوَ فِي الْغَشْيَةِ مِنْهَا لَا يَفِيقِ
طَائِرٌ فَارَقَ عَشًّا وَرَأَى حَلَقَ الشُّبَّانِ^(٢) أُولَى بِالْحُلُوقِ

جلال وهيكَل^(٣)

لَيْلَةٌ بَتُّ أَعَانِي حَلَّهَا مَشْكَالَاتٍ لِحَكِيمِ الْأَلْمَانِ
ذَاكَ مَنْ أُبْرَزَ فِي إِبْدَاعِهِ أَبَدِيُّ الْكَوْنِ مَنْ سَتَرَ لَأَنِّي^(٤)

(١) الشاعر الإنكليزي المعروف فارق وطنه إلى بلاد اليونان لنصرة الثائرين بها، ومات هناك.

(٢) الشبَّان: الشبكة.

(٣) جلال الدين الرومي، وهيكَل الفيلسوف الألماني.

(٤) يريد أنه أدرك من الشيء المؤقت حقائق أبدية، والآني نسبة إلى الآن.

يخجلُ العالم من أفكاره شاكياً ضيقَ زمانٍ ومكانٍ
 سرْتُ في بحرٍ له فالتطمّث سفنُ العقل بموجِ الطوفانِ
 نفسُ النّومِ بعيني سحره فحماني فكرٍ باقٍ أو فاني
 وأحدَّ الشّوقَ طرفي فإذا نور وجهٍ لحكيم رحماني
 إنه السّمسُ تجلّت في الضحى كلُّ أفقٍ بسناها نوراني
 نوره في مظلّم الأفق سرى كمنارٍ في طريقِ الرّكبانِ
 تنبُّ الأفكار في ألفاظه مثلُ ما ينمو شقيقُ النّعمانِ
 قال: قم يا أيها النائم! هل تمخّر السّفن سرابَ القيعانِ
 «في طريقِ العشقِ بالعقل يُسار؟» بسراجٍ تبتغي شمسَ النّهار»^(١)

بتوفى

(شاعرٌ مجري قُتِلَ شاباً في الدِّفاع عن وطنه، ولم يعثر على

بدنه لتبقى له ذكرى أرضية)

لعروسِ الرِّياض غنّيتَ حيناً زدتَ قلباً جوئ وأسليتَ قلباً
 وخضبتَ الشقيق من دمك المسفوك وجدأ وجلّ ذلك خضبا
 كم بآه الصّباح في المرج يسري، في صدور الأكمّام فتختّ قلباً
 نغماتٌ من الجوى ذبت فيها في «مزار» القريض تُدفن جبا
 وإلى التّرب لم تعد بممناتٍ ذاك حقّ فليس أصلك تربا

(١) البيت الأخير للرومي.

جلال وجوته ^(١)

شاعر الألمان في رَوْضِ إرم ^(٢) فاز بالصحبة من شيخ العجم
 شاعرٌ يشبه ذا العالي الجناب ما نبياً كان لكن ذو كتاب ^(٣)
 قصٌّ للعارف بالسرِّ القديم ما وعى إبليس والشيخ الحكيم
 فأجاب الشيخ: يا رب العلاء أنت صيادٌ ولكن في السماء
 قد خلا فكرُك في القلب السليم فأجدُّ الروح في الكون القديم
 فرأيتُ الدرَّ في قاع البحار وديبَّ الروح من خلف الستار
 ليس كلُّ قد تجلَّى العشقُ له ليس كلُّ أهل هذي المنزل
 «قد تجلَّى لسعيد المعبي مكرُّ إبليس وعشقُ آدمي» ^(٤)

رسالة برگسون ^(٥)

إذا ما شئت أن تحظى بسرِّ تبوح له الحياة لمستجيب
 فلا تبعذ بنفسك عن لظاها كما جفَلَ الشَّراؤُ عن اللهيِّب

(١) شاعر الألمان جوته صاحب القصة المعروفة فوست. وفي هذه القصة يبين الشاعر درجات تطور الإنسان في إطار من رواية قديمة عن العهد الذي كان بين الحكيم فوست والشيطان، وقد بلغ فيها الفنُّ درجةً لا يدركها الخيال.

(٢) يقصد الشاعر بإرم الجنة.

(٣) شيخ العجمك جلال الدين الرومين والبيت الثاني من قول الجامي عن الرومي: ماذا أقول في هذا العالي الجناب - لم يكن «نبياً» ولكن له كتاب -.

(٤) البيت الأخير لجلال الدين الرومي.

(٥) فيلسوف فرنسي.

ولا تصحَبْ سوى نظِرٍ عريف ولا تمرر بأُضِـك كالفريب
وما صورته وهم فاعدد لعقلٍ شَبٍّ في أدب القلوب

حانة الفرنج^(١)

عهد حاناتِ فرنج دُكْرَنِي يا خليلي !
رَبَّتِ الخمرةُ فيها عَيْنَ خُمَّارِ جميلِ
نظرة الساقِ رسالا تَلْـسُـشْراب السُّـمُونِ
عقلُها الخاتِر غـاز عـشَقُها كـلُّ سـبـيلِ
جُوها ما أَشـغَلـته نـارُ أَهـاتِ الحـيـارى
ليس فيها مِنْ خـليـع فيه تـرنـيـخُ السُّكـارى

حكماء^(٢)

لوك^(٣)

فارغُ الكأسِ أتى الروضَ شقيق^(٤) يملأُ الأكواب من شمس الضُّحى

(١) يقصد الشاعر في هذه الأبيات إلى ما يعوز الإفرنج من الإيمان وحرارة الوجدان.

(٢) صوّر الشاعر كلا من هؤلاء الفلاسفة ببيت. وهذه الكنايات لا يدركها إدراكاً تاماً إلا من عرف هؤلاء الفلاسفة، وعرف خصائص كلٍّ منهم.

(٣) فيلسوف إنكليزي.

(٤) شقائق النعمان.

(١) كنت

فطرة ضاءت شراباً ولها نجم كأس من حريم الأزل

برغسون

ماله من أزل خمراً وكاس ناره من حرقه القلب الشقي

شعراء

(٢) برونكي

ليس في كأس الحياة البرد ناز فبماء الخضر كأسى أملاً^(٣)

بايرن

منة للخضر لا تلهب صدي فبماء القلب كأسى أملاً

(٤) غالب

لأزيد الخمر والصدر لهيباً أصهر الدن وكأسى أملاً

(١) فيلسوف ألماني.

(٢) شاعر إنكليزي.

(٣) ماء الخضر: عين الحياة التي شرب منها الخضر، فخلد، وحرّمها إسكندر.

(٤) أسد الله غالب شاعر بالفارسية والأردية، يُعتبر شعره حجة باللغة الأردوية، توفي سنة ١٨٦٨م

وهذا البيت لغالب نفسه.

جلال الدين الرومي

أَيْنَ مَزَجَ مِنْ سَنَا جَوْهَرِهَا مِنْ عُرُوقِ الْكَرَمِ كَأَسَى أَمَلًا

حانات الفرنج

أَمْسٍ فِي حَانَةِ الْفَرَنْجَةِ وَهْنًا	رَاعَنِي قَوْلَ مَا جَنَى ذِي خَلَاعِهِ
قَالَ : لَيْسَتْ كَنِيْسَةً تَفْشَاهَا	فِي دُمَى الْغِنَاءِ تَبْغِي سَمَاعِهِ
إِنَّهَا حَانَةُ الْفَرَنْجِ وَفِيهَا	كُلُّ مَا ذَمُّهُ الْبَرِيَّةُ طَاعَهُ
قَدْ وَزَنَّا الْأَعْمَالَ فِيهَا بِوَزْنِ	غَيْرِ مَا حَسَّنَ الْأَنْسَامُ اصْطِنَاعَهُ
لَا تَزَنُ وَزْنَ أُمَّةٍ ذَاتِ دِينِ	رَبِّ مِيزَانِهِمْ فَحَاذِرْ مَتَاعَهُ
كُلُّ قَبِيحٍ يَزِيدُ جَاهَكَ، حَسَنٌ	كُلُّ حَسَنٍ يَضُرُّهُ فَهُوَ شِنَاعُهُ
إِنْ تَفَكَّرْتَ فَالْحَيَاةُ رِيَاءٌ	وَبِهَا الصِّدْقُ قَوْلَةٌ خَدَاعُهُ
إِنَّمَا الصِّدْقُ وَالْوَفَاءُ حِجَابٌ	يُحْرِمُ السَّاعِي الْغَرِيْبُ ارْتِفَاعَهُ
شَيْخُنَا قَالَ: مَوْهَنْ كُلُّ ضَفَرٍ	بِنَضَارٍ وَزَيْفَنْ كُلُّ سَاعَةٍ
ذَاكَ سِرُّ الْحَيَاةِ لَا تَفْشِيْنَهُ	تَرِيحُنْ فِي يَدَيْكَ كُلَّ بَضَاعِهِ

القسم الخامس

رقائق

ذَرَانْنَا ثَوْرَةً تَهْدُرُ بأنفاسنا محشراً مضمراً
لقد أفصح الخضر في الظلمات على حين صاحبة إسكندر
عسير على الناس فهم الممات وفهم الحياة لهم أغسر

حبة الدُرِّ تعرف البحر لكن أي علم لها بدور الرّحى ؟

يصرُّ اليراع لإعواز لب^(١) فليس لمروء كحل صرير

طفث بالبيت حاملاً أصنامي وأمام الأصنام «هو» قد جارت^(٢)
وفؤادي يسير خلف طلاب في طريق كشعرة قد مررت
يقولُ ورد روض: عيش الرّبيع أحلى وصبح مرج عندي من الجميع أحلى
من قبل جور كف لزينة تقطفني موت بحضن نضر من الفروع أحلى

(١) يعني لأنه فارق الجوف.

(٢) صاحب بلفظ «هو» يريد الله تعالى.

(٣) وهذا مثال آخر من زيادة التفعيلات على المعهود في العربية وفي القافية المردوفة.

يا صاحبي ذاك قولٌ على الحياة دليلٌ
الأموم موتٌ خفيفٌ والموتُ نومٌ ثقيلٌ

إن تكن للعفو لست بأهلٍ فإلى الأعداء فاقصد بحقدك
لا تُقم في الصدر مصنعَ حقدٍ لا تصب الخل في كأس شهديك
دع التسائل عن طبعٍ دقيقٍ يشق الشعر في الليل البهيم
لشاعرنا زجاجات رقائقٍ تحطمهن أنفاس النسيم
أيغي وصف حرب في حياة «حبات ضاع في لبحٍ عظيم؟»

امض في الدنيا كنهر في جبال واعرف الأغوار فيها والتجودا
أو مثال السيل فاجزف كل شيءٍ لا تباليه هبوطاً أو صعودا

قطوف الورد ! لا تجزع لشوكٍ كذاك الشوك من نفس الربيع

لا تبغ الخضاب والتلوينا لبس الشباب سرقة السينا

رأيت العشق يأبى كل غدي كملت الطير تأباه الضفور

يَبُورُ الشَّعْرَ فِي الْأَسْوَاقِ نَقْدًا فَلَا خُبْرَ بَفَضَّةِ يَاسْمِينِ

انتهى

اللمعات

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأت هذه المنظومة حينما قرأت منظومتَي إقبال: «أسرار خودي»، و «رموز بي خودي» ونشرت الأبيات الأولى منها، ثم شغلتُ عن إتمامها، فلبثتُ أعاودُ النظم فيها حيناً بعد حين.

فلما أشرفت ترجمة «پیام مشرق» على التَّهْيَاة عَزَمْتُ على إتمام المنظومة، فتَمَّت بحمد الله.

وهي مهداة إلى الشاعر العظيم إقبال اعترافاً بفضلِهِ.

(عبد الوهاب عزام)

كَمْ حَنَّتْ مِنْكَ عَلَيْنَا أَضْلَعُ ؟	أَيُّهَا اللَّيْلُ ! إِلَيْكَ الْمَفْزَعُ
وملأنا اللَّيْلَ هَمًّا وشَجَا ؟	كَمْ خَفِينَا فِي غِيَابَاتِ الدُّجَى
وكرهتُ النُّجْمَ عَيْنًا رَانِيَةً ؟	كَمْ أَلْفَتُ اللَّيْلَ أَمَّا حَانِيَةً
من شُعَاعِ الصُّبْحِ سَهْمًا صَائِبًا	كَمْ أَلْفَتُ اللَّيْلَ وَحَشًّا رَاقِبًا
فوعاهُ اللَّيْلَ عَنِّي أَلَمَّا ؟	كَمْ بَشَّتْ اللَّيْلُ سِرًّا كَتَمَّا
خَطَّتِ الْآهَاتُ فِيهِ كَالْقَلَمِ !	كَانَتْ الظُّلُمَاءُ لَوْحًا لِلْأَلَمِ
وطغى قلبي بِمَدِّ بَعْدَ مَدِّ	كَانَ لِي اللَّيْلُ مَدَادًا فَتَقَدَّ
وغزاني الْوَجْدُ فَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ !	جَاشَتْ الظُّلُمَاءُ مَوْجًا بَعْدَ مَوْجٍ
وانجَلَّتْ هَذِي، وَهَذَا غَامُرُ	فَيَبْتَ هَذِي، وَهَذَا زَاخِرُ

خلتني في الليل جمرأ سعرا
إرة قَدْ وقدت في أضلعي^(١)
ونجوم الليل منه شررا
وسحاب هاطل من أدمعي؟

كنت سطرأ لم يفسزه أحد
في ضميري كل معنى منهم
قد ثوى العالم في قلبي وما
جل قلبي أن أراه جام جم^(٢)
إنما الأقطار في قلبي العميد
رب معنى في ضمير يكرم
وقلوب رؤسها هذي الصدور
أناف في الناس فصيح أعجم
صمت الأذان عن هذا البيان
كيف يجدي القوم هذا النعم
كيف يجدي القدح في هذا الحجر؟
إن خفت القلب قدح مجهد
كيف يجدي النخ في هذا الرماد
خطه في غيبه الله الصمد
حرت في الإعراب عنه بالكلم
خط شيء فيه ألا الحرف «ما»^(٣)
صور الأقطار فيه تنظم
أحرف أوحى إلى معنى بعيد
ليس في الناس عليه مخزم^(٤)
أتراني مسمعا من في القبور^(٥)
ناطق فيهم كأتني أبكم!
ضاع في ضوضائهم هذا الأذان!
وعلى الأذان ران الصمم؟
قلبه رخو خللي من شرر
بعضه يوري، وبعض يضلد
طفئ الجمر ولم تور الزناد!

(١) الإرة: جبل النار.

(٢) يعني: لم يكن العالم في قلبه إلا نقيا.

(٣) جام جم أو كأس جمشيد، في خرافات الفرس: كأس كانت ترى فيها الأقاليم الشبعة.

(٤) المنحرم هنا: الأمين على السر، كما يؤتمن المحرم من الأقارب على الحرمات.

(٥) إشارة إلى الآية: (وما أنت بسمع من في القبور) [فاطر: ٢٢].

يَخْرِقُ اللَّيْلَ شِعَاعٌ يَخْفِقُ
 كمنارِ البحرِ يخفى ويُلَوِّحُ
 أو يراعِ اللَّيْلَ يخفى ويُنِيرُ
 تارةً يبدو طريقاً لحبا
 أو بياناً من يياضٍ وسواذٍ
 كلُّ لونٍ فيه حرفٌ مُفْصِحُ
 ورآه تارةً خطاً أجمُ
 فهو سَطَرٌ من ظلامٍ أرقطُ
 كلُّ لونٍ فيه حرفٌ أعجمُ
 يا بُيْنِي أوقدي، طالَ المدي
 أوقدي يا بُنْ قد حازَ الدليلُ
 ارفعِي النَّارَ وأذكي جمرها
 شرّدي هذا الظلامَ الجاثمِ
 جَبِّذا النَّارَ بليلاً توقدُ
 جَبِّذا عندك هذا النزلُ
 ما لَذا المنزلِ قد سارَ الفريقُ
 قد ترخّلنا من الفجِّ العميقِ
 ثمَّ يلتفُ عليه الغَسَقُ
 فيه بين الغيبِ والوَقْصِ وضوح
 فهو سَطَرٌ من غيابٍ وحضور^(١)
 قامت الأنجمُ فيه نُصْبا
 كياضِ الطُّرْسِ يعلوه المِدادُ
 ألفت منه سَطَوْرَ وضَح
 وكأنَّ الضَّوءَ تفصيلُ الظُّلُمِ
 أعجمت معناه تلك النُقْطُ
 وحوى الأحرفِ سَطَرٌ مظلمُ^(٢)
 أوقدي علّ على النار هدى^(٣)
 أوقدي النَّارَ لأبناء السبيلِ
 علّ هذا الركبُ يعشو شطرها
 أرشدي هذا الفراشَ الهائمِ
 جَبِّذا المؤنُسَ هذا الموقدُ؟
 لو حوانا في سفارٍ منزلِ
 إنمّا النيرانُ أعلامُ الطُّريقِ
 لا نبالي بقريبٍ أو سحيقِ

(١) هذا من قول إقبال: أي كرمگ شبتاب سرايا تو نوراست برواز توبگ سلسله غيب وحضور

ست (يا براعة الليل كلك نور، وطيرانك سلسلة من الغيبة والحضور).

(٢) حاصل المعنى في هذه الأبيات: أن النفس تارة تدرك إدراكاً واضحاً، وتارة تُغْم عليها الحقائق.

(٣) إشارة إلى الآية في قصة موسى: (لعلي ءاتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى) [طه: ١٠].

رَنُّ فِي آفَاقِنَا هَذَا التَّيْدَاءِ
 قَدْ غَنِينَا عَنْ مَيِّبٍ وَمَقِيلٍ
 وَعَنْ الرَّغْبَةِ وَالْخَوْفِ سُوَى
 نَحْنُ لَا نَرْضَى بِنَارِ الْغَسَقِ
 نَحْنُ لَا نَرْضَى بِنَجْمِ الصُّبْحِ لَاحٍ
 نَحْنُ لَا نَرْضَى نَجُوماً لَامِعَةً
 قَدْ رَحَلْنَا بِالْجَوَى وَالْخُرْقِ
 أَيْبُنَ مَنْ طَائِرَاتٍ سَبَقَ
 نَحْنُ رَكْبٌ فِي جَوَاهِ مُوَضِعٍ
 كُلُّ خُصِرٍ ضَاقَ عَنْهُ الْمَوْطِنُ
 كُلُّ طِيَّارٍ عَلَى مَتْنِ الْفَكْرِ
 طَائِرٌ مِنْهُ يَغَارُ الْمَلِكُ
 بَارِقٌ فِي اللَّوْحِ لَا يَنْطَفِئُ
 زَوْدِينَا بِهِيَامٍ وَوَجِيبِ

فَأَمَّنَا الْبَيْتَ يَحْصِدُونَا الرَّجَاءُ^(١)
 وَعَنْ الْأَمْوَاهِ وَالظِّلِّ الظَّلِيلِ
 خُلِعَ النُّعْلَانُ فِي وَادِي طَوَى^(٢)
 نَحْنُ لَا نَرْضَى بِنُورِ الشَّفَقِ
 لَا وَلَا نَرْضَى تَبَاشِيرَ الصُّبَاخِ
 إِنَّمَا نَبْغِي شَمُوساً طَالَعَهُ
 وَغَنِينَا عَنْ رَسِيمِ الْأَيْنِقِ
 جَمَعَ الْعَرْبُ لَهَا وَالْمَشْرِقُ
 لَمْ يَسَعَهُ فِي جَوَاهِ مُوَضِعُ
 وَانْطَوَى دُونَ مَنَاهِ الزَّمْنِ
 وَعَلَى مَتْنِ هِيَامٍ لَا يَقْرُ
 طَائِرٌ مِنْ تَحْتِهِ ذَا الْفَلَكِ
 كُلُّ غَايَاتٍ لَدَيْهِ مَبْدَأُ
 زَوْدِي يَا لَبْنٍ مِنْ هَذَا اللَّهْيَبِ

جَالَ فِي الظُّلُمَاءِ نُورٌ مِنْ نَعَمٍ
 أَشْعَاعٌ فِيهِ صَوْتُ صَائِحٍ
 مُزِقَتْ مِنْهُ دِيَا جِيرُ الظُّلُمِ
 أَمْ كَلَامٌ مِنْهُ رَوْنَقٌ لَائِحٌ؟

(١) إشارة إلى الآية: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) [الحج: ٢٧].

(٢) النعلان هنا كناية عن الرغبة والخوف والإشارة إلى الآية في قصة موسى: (إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) [طه: ١٢].

أُذِنَ الرَّكْبَ لِهَذَا الْمُنْشِدِ
 سَالَ فِي الْقَلْبِ مَسِيلَ الْمَطَرِ
 أَوْ خَرِيرِ الْمَاءِ مِنْ نَبْعِ زُلَالِ
 زَنَ فِي نَفْسِي رَنِينَ الْجَرَسِ
 طَوَتْ الْيَدَاءُ عَنْهُ السَّابِلَ
 سَبَقَ الْقَلْبُ إِلَيْهِ الْأَذْنَآ
 دَارَ قَلْبِي شَطَرَ هَذَا الْمَطَرِ
 «غَتْنِي يَا مَنِيَّ الْحَنَ الثُّشُورِ
 عُذْتُ يَا عَيْدِي إِلَيْنَا مَرْحَبَا
 أَطْرَبَ النَّاشِدَ صَوْتُ الْمُنْشِدِ^(١)
 يَنْبَسُ الرُّوحُ بِسَهْبٍ مَقْفَرِ
 بَشَّرَ الْغَارِقَ فِي بَحْرِ الرِّمَالِ
 صَاحَ فِي أذْنِي فَقِيْدٌ مَبْلَسِ
 وَهَدَاهُ الصَّوْتُ شَطَرَ الْقَافِلِ
 كَبَلَالٍ لِّلصَّلَاةِ أَذْنَآ
 دَوْرَةَ الْإِبْرَةِ شَطَرَ الْقَطْرِ
 اِبْرَكِي يَا نَاقَتِي ! تَمَّ الشُّرُورِ
 نَعْمَ مَا رُوِّحْتَ يَا رِيحَ الصَّبَا^(٢)»



حَبَا الصَّوْتُ فَمَنْ هَذَا الْبَشِيرُ ؟
 وَمَنْ الْمُسْعَدُ فِي هَذَا الْهَمُومُ ؟
 وَمَنْ الْهَابِطُ فِي نَوْرِ السَّمَآ
 وَمَنْ الْهَادِي إِلَى أَرْضِ الْحَبِيبِ
 وَمَنْ السَّائِقُ شَطَرَ الْخَرَمِ
 وَمَنْ الْقَارِئُ فِي بَيْتِ الضَّنَمِ
 وَمَنْ الْحَرُّ الَّذِي قَدْ حَطَمَا
 وَمَنْ الْأَبْيَ عَلَى كَلِّ الْقِيُودِ
 وَمَنْ الْهَاتِفُ بِالْقَلْبِ الْكَسِيرِ ؟
 وَمَنْ الْبَارِقُ فِي هَذَا الْغِيُومِ ؟
 هَادِيَا فِي الْأَرْضِ جِيْلًا مَظْلَمَا ؟
 يَعْرِفُ النِّهَجَ وَقَدْ حَارَ اللَّيْبِ ؟
 ، عَلَى الْأَصْنَامِ سَيَرِ الْأُمَمِ ؟
 سُورَةَ الْإِخْلَاصِ فِي هَذَا الثَّنَمِ ؟
 مِنْ قِيُودِ الْأَسْرِ هَذَا الْأَدْهَمَا ؟
 مَمَّنِ الْقَاطِعُ أَغْلَالَ الْعَيْدِ ؟

(١) المنشد في الشطر الأول، منشد الشعر، وفي الثاني: الذي يدلُّ على الضَّالة، والناشد: من ينشدُها.

(٢) جاء هذان البيتان بالفاظهما العربية في مثنوي جلال الدين الرُّومِي.

ثورة العزّة من هذي الهمم ؟
 بضّ كالجمرة في هذا الرّماد
 ضلّ فيه المقتدي والمزبّد
 فرساً كالصّخر في هذا الخضم
 وطوى اللّجّ على تيساره
 داعياً والنّاس غرقى في النّهر
 تَقْذِفُ اللّجّة قلباً خامداً
 جائش في الدّهر لا يتّشدّ
 همم الأحرار في أسفارها ^(١)
 فهي نورٌ وهي نارٌ حاميه ؟
 ويهيم السّجّم من ألحانه
 قد حكاها الشّعر لحناً مطرباً ^(٢)
 وهو للأزمان قلبٌ نابض
 وحبّته الزّهر من أسرارها
 وهو اليوم نجيّ الأبد
 فلسان الغيب يُملّي قوله
 فانجلي السّرّ له ما كُذبا
 عزّمه في صدره يتّقدّ
 فقره استغناؤه عن كلّ يد

ومن الباعث في ميت الأمم
 لاح كالعزّة في هذا السّواد
 جرف النّاس أتّي مزبّد
 وطفى اللّجّ عليه والتّطم
 عارض الموج على أغماره
 سبّح اللّجّ وبالشّطّ استقر
 يجرف الثّيار جسماً جامداً
 إنّ عزّم الحرّ بحرٌ مُزبّد
 هذه الأقذار في تسيارها
 ومن الشّاعر يُذكي القافيه
 تَقْشَعُرُ الأرض من أوزانه
 وكان الدّهر صوتٌ كُتِبَا
 هو بالأشعار بحرٌ فائض
 حدّثته الأرض عن أخبارها
 هو بالأمس خيرٌ بغد
 كَشَفَ الله عن الغيب له
 عَرَفَ الشّرق وراة المغرب
 جاهد في الخير لا يتّشدّ
 وفقيرٌ وغناؤه لا يُحدّ

(١) هذه: مبتدأ، وهمم: خبر.

(٢) يعني: أن الدّهر أمام الشّاعر كعلامات الموسيقى، والشعر قراءة هذه العلامات.

هو بالله وفي الله غني ضاق عن هذا الغنى كل ثري

صغار الهمم

إن في الناس قلوباً جامدة جذوة الإقدام فيها خامده
 همها ما يتغيه الجسد كل ما تهوى طعام ودؤ
 حذت آرائها آفاقها فحكمت في ضيقها أخلاقها
 لا تبالي حين تبغي أربا غمر الكون به أم خربا
 إنما قانونها أهواؤها سُخرت في نفعها آراؤها
 وترى أهواءها تغلبها كل حين في هوى يجذبها
 وإلى الأرض تراها مخلصه لا ترى نحو المعالي مُضعده
 إنما آفاقها هذا البدن إنما مبركها هذا العطن
 إنما أحيائها كالرّمم خامدات العزم موتى الهمم

العالم مغبد

إنما العالم طراً مغبد كل من أحسن، فيه يعبد
 كل من أدلى بقول طيب ينبث الخير كغيث صيب
 كل من أحسن يوماً عملاً كل من أحيأ مواتاً هملاً
 كل من في أرضه قد زرعاً ليقبث الناس والعُجم معاً
 كل من يغرس مخضر الشجر فيه للإنسان ظل وثمر

كل من ينبطُ بشراً في السبيل	تنفعُ الظمآن من حرِّ الغليل
كل من يني بناءً حسناً	كل من في صنعه قد أتقنا
كل من أحدث علماً للبشر	ينفعُ الناس ولم يقصد لشر
كل من أحدث فكراً مُحكماً	يتنفعي للناس خيراً عما
كل من جدَّ وإن لم يجد	لم يضع وقتاً بل هو ودِد
كل من أثر فيها أثراً	خالداً للخير ما بين الورى
كل من في دهره قد أجملاً	فكرةً أو قولاً أو عملاً
كلهم لله نعم العابد	كلهم للخير نفع القاصد
فاصطنع للخير فكراً ويدا	ولساناً وابغ في الخير يدا

لا رهبانية في الإسلام

ليس منا من ثوى في صومعه	يحبس الأعمال والفكر معه
ضاق نفساً عن مجال وسعا	فثوى في ضيقه قد خنعا
ليس شيئاً أن تُرى معتزلاً	عابداً تخشى البرايا ورجلاً
إنما العابد من خاض الحياة	موضنحاً فيه شياً للنجاة
آخذاً بالعدل ما عنه حول	ذاكراً مولاه في كل عمل
إنه بالحق موصول ومن	يصل بالحق لا يخش الفتن
ثورة مضمرة في حلمه	إن يفكر ظالم في ظلمه
أرأيت الصقر في متن الرياح	يطلب الرزق بعزم وجناح
طائراً في الجو يسمو عازماً	لا يرى حول الدنايا حائماً

يأكلُ الجوع ولا يرضى الجيف
فإذا جدُّ رماه في الشُّرك
ليس يحوي الحرَّ يوماً شبك
يا فتى هذا الجهاد الأكبر
قل في الناس عليه صابر
يا أسير الوهم أقدم لا تُبل
لويراه الجوع يوماً ما أسف
لم يطق صبراً عليه فهلك
فأسار الحرَّ فيه مهلك
عزيمات الحرَّ فيه تُخبر
ليس إلا الحرُّ فيه ظافر
وامض فيمن صَحَّ عزماً واتكل

معنى التَّوَكُّل

مَنْ يَنْتَمِ عَنْ سَعْيِهِ لَا يَتَكَلَّ
مُقَدِّمٌ فِي أَمْرِهِ الْمُتَكَلِّلُ
عَازِمٌ مَاضٍ عَلَى خَيْرِ سَنَنِ
أَرَأَيْتَ الطَّيْرَ فِي نَبْرِ الصَّبَاحِ
إِنَّهَا تَخْرُجُ فِي كَفِّ الْقَدَرِ
طَالِبَاتِ الرِّزْقِ فِي كُلِّ رَجَا
يَا لَهَا مِنْ أَمَلٍ قَدْ صَوَّرَا
أَرَأَيْتَ الْعِزْمَ فِي شَكْلِ جَنَاحِ
لَا يَبْصُدُ الطَّيْرَ خَوْفُ التَّهْلُكَةِ
إِنَّمَا التَّكْلَانُ سَعْيٍ مَّصْلُ
وَأَتَّقِ بِاللَّهِ فِيمَا يَأْمُلُ
لَا يَبَالِي بِعِقَابٍ أَوْ مَحَنٍ^(١)
تَطْلُبُ الرِّزْقَ بِعِزْمٍ وَجَنَاحِ
مَقْدَمَاتٍ لَا تَبَالِي بِالْخَطَرِ
تَمْلَأُ الْجَوَّ وَثُوقاً وَرَجَا
طَائِرَاتٌ يَطْلُبُ رِزْقاً قُدِّرَا
خَافِقَاتٌ لَا يَشْتِي دُونَ التَّجِيحِ
أَوْ تَبَالِي بِطَرِيقِ مِهْلِكِهِ

(١) العقاب: جمع عقبة.

ضرب المختار هذا مثلاً
 رأيت الطير في أوكارها
 ثاويات تبغني أرزاقها
 من ونى في سعيه لم يتكبل
 إنما التكلان عزم وعمل
 إنه الإعداد والعزم معا
 إنه التقدير في سعي البشر
 همم الأحرار في إيمانها
 سنة الله التي لا تبدل
 للذي يسعى عظيماً أملاً^(١)
 راجيات رزقها في دارها؟
 ليس تئذي من إليها ساقها
 إنه للوهم والعجز وكل
 إنه الإقدام في ضوء الأمل
 إنه الحر إلى القصد سعى
 هو عند الله من بعض القدر
 سنن الخلاق في أكوانها
 ما لها كز الليالي حوّل

غفلة بعض المسلمين عن معنى التوكل

آه من لي بقلوب واعيه
 آه من يفقه هذا الكلام؟
 آهها المسلم ماذا قد عدا؟
 آه للثور الذي قد طفنا
 آه للنار التي تشتعل
 خمدت فالقلب برد وهمود
 مقدمات في المعالي ساعيه
 آه من يدرك هذا النعما؟
 كنت في الأرض جهاداً وهدي
 آه للقلب الذي قد صدينا
 فيضيء الأرض منها شغل
 خمدت فالنفس عجز وركود

(١) جاء في الأثر: لو توكلتم على الله حق التوكل؛ لرزقتم كما ترزق الطير؛ تغدو خماصاً، وتروح بطاناً.

إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ زَنْدٌ وَحَجَرٌ
 إِنَّنِي أَضْرِمُ هَذَا الْأَلَمَا
 إِنَّنِي أَنْفُخُ فِي هَذَا السَّوَادِ
 عَلَّنِي أَذْهَبُ هَذَا الْخَبْثَا
 إِنَّنِي أَبْعَثُ فِيهِمْ نَغْمَسِي
 إِنَّنِي أُمْطِرُ فِي أَرْضِ مَوَاتِ
 لَيْتَ شَعْرِي هَلْ لَدِيهِ مِنْ شَرِّ
 عَلَّهُ فِي الْقَلْبِ يَذْكِي ضَرَمَا
 عَلَّ جَمْرًا مُحْرَقًا تَحْتَ الرُّمَادِ
 عَلَّنِي أَمْخَقُ هَذَا الْعَبْثَا
 عَلَّنِي أَبْعَثُ مَيْتَ الْهَمَمِ
 عَلَّهَا تُبَيِّتُ أَلْوَانَ النَّبَاتِ



الأمل

لَا تَرَانَا فِي جِهَادٍ نِيَّاسٍ
 أَشْعَلُ الْإِيمَانَ فِي كُلِّ دُجَى
 وَارْفَقْنَا فِي كُلِّ لَيْلٍ شُعْلَا
 وَصَلِ الْقَلْبَ بِخِلَاقِ الرَّجَاءِ
 إِنَّمَا الْإِنْسَانُ فَكْرٌ وَعَمَلٌ
 أَمَلُ الْإِنْسَانِ فِي الْقَلْبِ ضِيَاءُ
 إِنَّهُ النَّارُ الَّتِي تَشْتَعْلُ
 إِنْ دَجَا بِالْيَأْسِ لَيْلٌ غَيْهَبُ
 هُوَ وَخِيَّ اللَّهُ يَهْدِي عِبْدَهُ
 هُوَ نُورُ اللَّهِ فِي أَفْقِ النِّجَاحِ
 إِنَّهُ الْقُطْبُ إِلَيْهِ يُنْزَعُ
 إِبْرَةٌ تَهْدِي إِلَى قَصْدِ السَّيْلِ
 لَيْسَ مِنْ أَمْتَمَّ مَنْ يَسْأَلُ
 وَاقْصِدِ الْعِزَّمَ إِذَا الْهَوَلُ دَجَا
 وَابْعَثْ مَنْ كُلِّ يَأْسٍ أَمَلَا
 وَاخْلُقْنَا فِي كُلِّ حِينٍ مَا تَشَاءُ
 يَصْدَعُ الظُّلُمَاءُ فِي نُورِ الْأَمَلِ
 وَهُوَ فِي الْكَفِّ جِهَادٌ وَمَضَاءُ
 إِنَّهُ النِّجْمُ الَّذِي لَا يَأْفُلُ
 يَصْدَعُ الظُّلُمَةَ هَذَا الْكَوْكَبُ
 وَيُرِيهِ فِي الدِّيَاجِي قَصْدَهُ
 هُوَ هَدْيُ اللَّهِ فِي هَذَا الْحَيَاةِ
 كُلُّ قَلْبٍ وَإِلَيْهِ يُنْزَعُ
 تَقْصِدُ الْقُطْبَ وَعَنْهُ لَا تَمِيلُ

يا دليلاً هادياً في كلِّ وادٍ أنت سرُّ الله في كلِّ فؤادٍ
يَقْدَحُ القلبُ إذا ما خفقا شرراً منه منيراً مُخْرِقاً
فهو نورٌ وهو نارٌ يَلْدَغُ يوضح التَّهَجُّعَ وفيه يَدْفَعُ
فاؤْمَلْ لخيرٍ وصابرٍ لا تَمَلْ إنَّما الدُّنَا رجاءٌ وَعَمَلٌ
وقضاءُ الله عَوْنُ الأملين وهو في عَوْنِ الأباةِ العاملين
لا يَرُدُّ الله قلباً آملاً لا يَرُدُّ الله عبداً عاملاً
ربِّ عبدٍ مخلصٍ قد أقسما فأبَرَّ الله مِنْهُ القسما^(١)
وجهادُ العبدِ أولى أن يُر إنَّه الفعلُ على القولِ أبر
إنَّ عِزَّ الحَرِّ فيه قَسَمٌ مُضْمَرٌ يَغْلُمُه مَنْ يَعْلَمُ
قد تولَّى الله هذا المَقَسِمُ فدعاه في يقينٍ يقسم

الوجدان السليم

ذلك الوجدانُ إنَّ لم يصدأ مِنْ غَشَاوَاتِ الهوى أو يُطفأ
أو تحجبَه رِياحُ عاتيه صَرَصَرُ الأهواءِ فيها سافيه
أو يجلِّلُه ظلامُ الغفلة أو يَحْجُبُه حِجابُ الشَّهوةِ
أيقظِ الوجدانَ يا مَنْ غفلا فمضى يحيا حياةً هملا
أيقظِ الوجدانَ واسمع وَخِينَهُ أيقظِ الوجدانَ واتَّبِعْ هديهِ
إنَّه المرأةُ، إمَّا ضَعِيفًا تبصرِ العالمَ فيه مثلاً
اجلِّه بالفكر والعلمِ معاً واجلِّه بالذِّكْرِ حتَّى يسطعا

(١) إشارة إلى ما جاء في الأثر: «ربُّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره».

لا تُضِغْ في الشُّوقِ هذا الجَوْهَرَا
لا تُضِغْ في لغوهم هذه الحِكَمَ
نحن في الدُّنيا حوانا مَهْمَةً
تَقْصِدُ المَنْزَلَ هَـذِي القَافِلَه
فَاتَّبِعْ خَرِيَّتَهَا لَا تُبْلِسْ
إنَّه الوجودان في هَـذِي الفَلاهِ
أَرَأَيْتَ القُلُوكَ تَسْرِي مَآخِرَه
تَهْتَدِي فِيهَا بِنُورٍ بَارِقِ
تَهْتَدِي السَّهْجَ عَلَى لِمَحَاتِهِ
وَهَدْيَهَا إِبْرَ لا تَغْفُلْ
إنَّما الوجودان في بَحْرِ الحَيَاةِ

لا تُطِغْ مِنْ بَاعٍ فِيهِ وَاشْتَرَى
لا تَغْلُ ضَوْضَاؤُهُمْ هَـذَا النِّعَمَ
مَجْهَلٌ أَعْلَامُهُ تَشْتَبِه
فِي فَيَافٍ خَافَ فِيهَا السَّابِلَه
وَأَصِيخُ فِيهَا لِصَوْتِ الجَرَسِ^(١)
إِنَّهُ دَاعٍ يُنَادِي لِلتَّجَاهِ
فِي لَيْالٍ وَبِحَارٍ زَاخِرَه
مِنْ مَنَارٍ فِي الدِّيَاجِي خَافِقِ
وَتَوَقَّى الصَّخْرَ مِنْ مَضَاتِهِ
قَاصِدَاتٌ قَطَبُهَا لَا تَعْدُلُ
إِبْرَةَ القُطْبِ وَمِصْبَاحُ النُّجَاةِ

طغيانُ العقلِ على القلبِ

مَحَنَةٌ لِلنَّاسِ هَـذَا الزَّمَنُ
كُلُّ مَا نَبْصُرُ فِيهِ فَتَنُ
أُطْلِقُ الْإِنْسَانَ مِنْ أَغْلَالِهِ
جُرَدَ الْعَالَمِ مِنْ أَسْتَارِهِ
وَأَجَالَ الْفَكِيرَ فِي طَيَّاتِهِ
وَمَضَى يَبْحَثُ فِي ذَرَّاتِهِ

كُلُّ إِنْسَانٍ بِهِ مُفْتَحَنُ
فَتَنٌ فِيهَا تَحَارُ الْفِطْرُ
سُيِّبَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَحْبَالِهِ
وَانْبَرَى يَكْشِفُ عَنْ أَسْرَارِهِ
وَمَضَى يَبْحَثُ فِي ذَرَّاتِهِ

(١) جرس القافلة، وفيه إشارة إلى قول سعدي الشيرازي - ما زمنز مقصود من خبريم - ابن قدرهست كه بانگ جرس ميايد.

ومضى يبحث في أغوارها
مخرجاً من بطنها أثقالها
حيث لا يطمع صَفَرٌ أو عَقَاب
كل ما يسمو إليه يقترب
من بأقصى الشرق فاسمع واعجب
في ذرى الأفلاك يبغي مسرحاً

وأحاط الأرض من أقطارها
فارعاً في ظهرها أجيالها
طائراً في اللوح من فوق الشحاب
طاوياً أقطارها لا يغترب
يسمّع الهمس بأقصى المغرب
ضاقت الأرض عليه فانتحي

مثل ما أعطي عقلاً بارقاً
مثل ما يغمز عقلاً راجحاً
مثل ما أعمل كَفّاً حاطمه
مثل ما مكّنه عزفائه
فيه لدم فوقه بنيانه
ليت له لم نعمه أمواله
وتوقز سمعه ضوضاؤه
في ظلام الصدر منه قد أضاء
ما بناه مخرباً ما عمرا
بوئام وسلام وهدى
ليت له صان الجنان الناضرة

آه لو أعطي قلباً خاققاً
آه لو يعمر قلباً راحماً
آه لو أغمز عيناً ساجمه
آه لو هذب به إيمانه
آه لو لم يغمه طغيانه
ليت له لم تطفغه أعماله
ليت له لم تغشه أضراؤه
آه لو أن شعاع الكهرباء
ويله من ماردٍ قد دُمرا
ليت له حاط الذي قد شيدا
ليت له حاط البلاد الزاهرة

كل غصن فيه نام ثممر

إن هذا العصر روض مزهر

نُضِرَتْ فِيهِ فَنُونَ الزَّهَرِ
 آهٍ لَكِنْ فِي مَهَبِ الْعَاصِفَةِ
 صَرَصَرٌ تَأْتِي عَلَيْهِ لَا تَذَرُ
 يَخْرُبُ الْبِسْتَانَ مَنْ قَدْ غَرَسَا
 كُلُّ طَائِعٍ يَدْعِي الْبِسْتَانَ لَهُ
 لَوْ تَأَخَّوْا وَاهْتَدَوْا وَاسْتَمَرُّوْا
 لَأَوْزَا مِنْهُ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ
 وَجَنُّوْا أَثْمَارَهُ وَانْتَفَعُوا
 فَتَعَالَوْا نَنْظُرِ الدَّاءَ الْعَصِيَّ
 إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَا يَحْصِي الْعِلْلَ
 إِنَّهُ لَمَحَّةٌ عَيْنٍ عَابِرَةٍ
 إِنَّهُ نَفْثَةٌ نَفْسٍ شَاعِرَةٍ

البيت

مَعْبُدٌ لِلَّهِ مَا أَظْهَرَهُ
 رَوْضَةٌ يُنْبِثُ فِيهَا الْخَلِيقُ
 تَنْشَأُ الْخَيْرَاتُ فِيهِ وَتَرْبُ
 أَنْفُسٌ فِيهِ كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ
 بَلْ شَكْوَلٌ مُثَلِّثٌ لِلْوَالِدِ
 كُلُّهَا حَبٌّ وَإِثَارٌ فَلَا
 فِيهِ سِرٌّ اللَّهُ مَا أَظْهَرَهُ
 وَتَرَى الْحَقُّ عَلَيْهَا يُشْرِقُ
 مَنْ رَأَى الْخَيْرَ لَهُ أُمٌّ وَأَبٌ
 أَلْفَتْهَا فِي حِمَاها الْوَالِدَةُ
 كَالْمَرَايَا حَوْلَ وَجْهِ وَاحِدٍ
 حَسَدٌ فِيهَا وَلَا حَقْدٌ وَلَا

فَسَاخٌ يَفْدِي أَخَاهُ جَاهِدًا وَكَلَا الصَّنُونِ يَفْدِي الْوَالِدَا
وَتَرَى الْأُمَّ عَلَيْهِمْ حَانِيهَ تَسْهَرُ اللَّيْلَ إِلَيْهِمْ رَانِيهَ
وَأَبُوهُمْ فِي غَدَوْ وَرَوَاحِ يَسْطُ الْحَبَّ عَلَيْهِمُ وَالْجَنَاحِ
رَوْضَةٌ لِلْحَبِّ فِيهَا مَثَلَا كُلُّ غَصْنٍ بِأَخِيهِ اتِّصَلَا
كُلُّ خَيْرٍ هَاهُنَا مِنْبَعُهُ كُلُّ بَرٍّ هَاهُنَا مَطْلَعُهُ
مَسْجِدٌ يَسْعَدُ فِيهِ الْوَالِدَانِ وَهُمَا الْخَلَائِقُ فِيهِ يُغْبَدَانِ
يُغْبَدُ الرَّحْمَنُ مَنْ قَدْ عَبَدَا وَالِدِيهِ وَإِلَى الْبَرِّ اهْتَدَى
فَإِلَى تَوْحِيدِهِ مَنْ غَيْرَ بَيْنِ قَرَنَ الرَّحْمَنُ بَرًّا الْوَالِدَيْنِ
إِنْ تَشَاوَرَا مَثَلَا لَا يُدْفَعُ بَيْنًا كَالشَّمْسِ نَوْرًا يُطْلَعُ^(١)
فَاقْرَءُوا يَا قَوْمَنَا كَيْ تَشْهَدُوا (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا)
(وَاعْبُدُوا اللَّهَ) فَهِيََا فَاقْرَءُوا (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ) فِيهَا النَّبَأُ^(٢)
أَحْكُمُوا الْأَسْرَةَ مَنْ قَرَأَهَا وَارْفَعُوا بِالذِّينِ مِنْ بَنِيَانَهَا
وَاعْمُرَا الْبَيْتَ بَرًّا وَوَفَاءَ وَسَلَامًا وَوُثَامًا وَإِخَاءَ
إِنَّ هَذَا الْبَيْتَ فِي نَظْمِ الْأُمَمِ مِثْلُ بَيْتِ الشَّعْرِ فِي نَظْمِ النُّعَمِ
كُلُّ بَيْتٍ أُلْفِتَ أَحَادُهُ آزَرَتْ أَسْبَابُهُ أَوْ تَزَادُهُ
وَنِظَامُ الْبَيْتِ مِنْ نَظْمِ الْكَلِمِ كُلُّ لَفْظٍ بِأَخِيهِ يَنْتَظِمُ
كُلُّ لَفْظٍ مِنْ حُرُوفٍ أُلْفَا كُلُّ حَرْفٍ بِأَخِيهِ اتِّلَفَا
وَنِظَامًا وَاحِدًا يُنَى الْقَصِيدِ لَيْسَ فِيهِ مِنْ قُصُورٍ أَوْ مَزِيدِ

(١) الآية: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء: ٢٣].

(٢) الأيتان: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [النساء: ٣٦] (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ

مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الأنعام: ١٥١].

ففي قوافٍ ألفت أبياتها
ومعانٍ بعد هذا غاليه
هل رأيتم قط من شعر رفيع
كيف تُبنى للمعالي أمم
من ييوت في خلافٍ وشقاق
كل بيت فيه لفظٌ نائر
لا تقل فيها زحافٌ وعلل

وروي نساظم أشـتاتـها
ترتقي الأنفس فيها عاليه
كل بيت فيه ذو معنى وضع
من ييوت جمعها لا ينظم
يؤذن البيت أخاه بالفراق
كل لفظ فيه حرفٌ نافر
بل شذوذٌ وسنادٌ وخلل

ليت شعري ما أصاب المسجدا
لا أرى جمعاً لديه نُظما
ما أحس اليوم ترتيل القرآن
خرس المنبر عن أصواته
ذهب العبّاد عنه قددا
غلب الملهى عليه والطريق

ما أصاب الخير فيه والهدى
لا ولا صفاً لديه قوما
لا ولا أسمع ترجيع الأذان
عطّل المحراب من آياته
ومضوا في كل أفق بددا
ومضى في غيته كل فريق

روضه البيت أراها ذوايه
صوّحت أعشابها والشجر
صدفت عنها عيون واقيه
غاب بـستائـيها دون إياب
إنها يا قومنا إحدى الكبر

كانت الأمس زهورا زاهيه
ودّوت أوراقها والزهر
وحمتها الماء أيدي ساقيه
فطغى الشوك عليها والتراب
أنعموا التفكير فيها والنظر

هي أصل الداء أو أصل الدواء نعمة الأقوام فيها والشقاء

اعمروا بالخير هذا المسجدا وابتغوا الخيرات فيه أبدا^(١)
 اعمروا البيت وردوا والديه واجعلوه حرماً يؤوى إليه
 نصّروا الرّوضة من إروائها وابتغوا النّعمة في أفيائها
 أرجعوا الطير إلى أوكانها ليشب الولد في أحضانها
 ألّفوا الأحرف في كلماتها وانظموا الأمة من أبياتها

تنافر الجماعة

إننا نبصر في كلّ مكان حسرة الأنفس في هذا الزّمان
 من وجوه مات فيها الخفر وعيون حارّ فيها النّظر
 يلعن الوجه أخاه نافرا يبعّض الطّرف أخاه ناظرا
 قطعوا من بينهم كلّ سبب هجر النّاس حياء وأدب
 ثورة تبصرها كلّ طريق يتجلى الهجر فيها والعقوق
 ليست الأمّ بها أمّا ترى لا ولا الوالد فيها عزّرا
 لا ولا الأخوت لها حرمتها من أخيها وقّدت حسرتها
 لا صغير قد رعى حقّ الكبير أو كبير راحم ضعف الصّغير
 فنرى في قبحها أفعالها تسمع الألفاظ أصداء لها

(١) المسجد: هو الأسرة.

تقدحُ النيران منها في الصُّدور
 بالتَّسامِ أو شِقَاقٍ وعناد
 نبصرُ الحُسْبَ بها متصلاً
 لم يؤلفها على النَّهْجِ احتساب
 ومن الأعداد حُبٌّ وائتلاف
 ومن الأعداد رُحِمٌ ووفاق
 فهي بغَضٍّ وشِقَاقٍ وفتن
 فاستقامت في طريقٍ واحده
 وحسابٌ بالغ كل مراد
 وانظروا ما الجمع في آحادنا
 واجمعوا هذي الوجوه الثائرة
 واجمعوا بالحُبِّ هذا البسدا
 أطفئوا بالودِّ هذا الضُّغنا

تلك فيضٌ من قلوبٍ في نفور
 إنَّما الناس صلاحٌ وفساد
 ولا نبصرُ أحسَّاداً ولا
 إنها الأعداد في غير حساب
 ومن الأعداد بغَضٍّ واختلاف
 ومن الأعداد حَقْدٌ وشِقَاق
 فإذا سارت على غير سَنَن
 وإذا ألفتها في قاعِدة
 فهي نظمٌ وائتلافٌ وإطراد
 فانظروا ما النَّظْمُ في أعدادنا
 انظموها هذي القلوب النافرة
 املئوا الأنفُسَ خيراً وهدي
 اغسلوا بالحُبِّ هذا الدُّرنا

إنَّما الأهواء أسبابُ النَّوى
 إنَّ للحقِّ طريقاً واحده
 ما سوى الحقِّ إليه نستجيب
 أشعروها الحقَّ في أحضانها
 لا تزيغوا عن شمالٍ أو يمين
 ليس إلا الحقُّ للخير رفيق
 ومن الحُبِّ إلى الجمع المصير

ما ينال الحُبُّ يوماً بالهوى
 يجمعُ الحقُّ نفوساً شاردة
 ليس إلا الحقُّ في جمع القلوب
 أرضعوها الحقَّ في ألبانها
 واجعلوه قِبلةً في كلِّ حين
 ومن الحقِّ إلى الخير طريق
 ومن الخير إلى الحُبِّ المسير

كُلُّ حَقٍّ مِنْ سَنَاهُ يُشْرِقُ
 كُلُّ خَيْرٍ مِنْ جَدَاهُ يَنْبُعُ
 كُلُّ يَنْبُوعٍ إِلَيْهِ عَائِدُ
 بَارِيَّ بِالْحَقِّ كُلُّ الْعَالَمِينَ
 بَرُّهُ فِي خَلْقِهِ فَيُضْ عَمِيمُ
 هُوَ مَوْلَى لِلْبَرَايَا وَوَلِي
 وَانْظُرُوا الْآيَاتِ مِنْ إِحْسَانِهَا
 فِيهِ قَلْبٌ كَسَرَجٍ فِي ظَلَمِ
 ذَلِكَ الثُّورِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
 فَهُوَ وَحْشٌ هُمُّهُ سَفْكُ الدِّمَاءِ
 وَبِهَذَا الْقَلْبِ كَوْنٌ لَا يُحَدُّ
 مَنْ يَعِشُ فِي وَسْعَةِ الْقَلْبِ خَلَدُ
 أَوْ قَوَامٌ فِيهِ لَحْمٌ وَدَمَاءُ
 وَرَجَاءُ وَجَهَادٌ وَكَفَاحُ
 فِيهِ أَمْرُ اللَّهِ لِلْخَلْقِ مَبِينُ
 إِنَّهُ يَكْبُرُ عَنْ وَزْنٍ وَعَدُ
 انْظُرْنَ فِي الْقَلْبِ يَوْمًا لَتَرَاهُ
 وَحَوَاهُ الْقَلْبُ، هَذَا الْخَاتَمُ
 كُلُّ مَا أَبْصَرْتَ مِنْ أَمْرِ جَلِيلِ
 مِنْ جَلَالٍ وَجَمَالٍ وَعَبْرِ

لَا يُرَى لِلْحَقِّ إِلَّا مَشْرِقُ
 لَيْسَ لِلْخَيْرَاتِ إِلَّا مَنَبُعُ
 إِنَّمَا لِلْحَبِّ نَهْرٌ وَاحِدُ
 مَنَبُعُ الْحَقِّ هُوَ الْحَقُّ الْمَبِينُ
 مَنَبُعُ الْخَيْرِ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ
 مَنَبُعُ الْحَبِّ هُوَ اللَّهُ الْعَلِيِّ
 فَأُضْئِثُوا النَفْسَ مِنْ إِيْمَانِهَا
 اْمَلُّوا الْأَنْفُسَ مِنْ لَحْمٍ وَدَمِ
 ذَلِكَ اللَّحْمُ إِلَى مَاءٍ وَطِينِ
 فَإِذَا أَطْفَأَ فِيهِ ذَا الضِّيَاءِ
 إِنَّ هَذَا الْجِسْمَ ذُو وَزْنٍ وَحَدِ
 هَالِكٌ مَنْ عَاشَ فِي ضَيْقِ الْجَسَدِ
 أَنْتَ فِي جِسْمِكَ مِنْ طِينٍ وَمَاءِ
 أَنْتَ فِي الرُّوحِ حَيَاةٌ وَطَمَاحُ
 أَنْتَ فِي قَلْبِكَ سِرُّ الْعَالَمِينَ
 لَا يَحْدُ الْقَلْبُ فِي الْآفَاقِ حَدَ
 أَثْبَتِهَا الْغَافِلُ عَنْ سِرِّ الْإِلَهِ
 ضَاقَ عَنْ أَمْرِ الْإِلَهِ الْعَالَمِ
 كُلُّ مَا أَدْرَكَتَ مِنْ مَعْنَى جَمِيلِ
 كُلُّ مَا أَوْعَاهُ تَارِيخُ الْبَشَرِ

كُلُّ مَا حُذِّثَ عَنْ أِبْرَارِهِ
أَوْ تَجَلَّى فِي الْكَوْنِ الْكَبِيرِ^(١)
هُوَ خَفَقَ الْقَلْبَ يَرْمِي بِالشَّرِّ
فَهُوَ نَارٌ فِي دَجَاهَا وَيُثَوِّرُ
وَامَلَأُوا الْآفَاقَ مِنْهُ بِالسُّنَا
ارْفَعُوهَا عَنْ مَعَانٍ خَامِدَةٍ
وَمَعَانٍ كُلُّهَا نَبَتْ التُّرَابِ
لَا رِيَاشَ وَمَتَاعَ اللَّبْلَى
وَزُنْهُ بَيْنَ السُّورَى مَبْنُوءَةٍ
حَلَقْنَ فِي جَوِّهَا مِثْلَ الْفَقَابِ
مَنْ لِهَذَا الْكَوْنِ فِي يَوْمٍ وَعَدٍ
أَبْصُرِ الْإِنْسَانَ يَا قَوْمِي هَوَى

كُلُّ مَا سُجِّلَ عَنْ أَخْيَارِهِ
هُوَ نَوَّرَ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ الصَّغِيرِ
هُوَ نَبْضُ الْقَلْبِ فِي الدُّنْيَا انْتَشَرَ
إِنَّمَا الْإِيمَانُ بِالدُّنْيَا يَسْهُو
فَاجْعَلُوا مِنْهُ تَبَاشِيرَ الْمُنَى
ارْفَعُوا الْأَنْفُسَ فِيهِ صَاعِدَةٍ
عَنْ مَتَاعٍ وَطَعَامٍ وَشَرَابٍ
قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ قَلْبٌ لِلْعَالِي
كُلُّ سَاعٍ قَدْرُهُ بَغْيُثُهُ
أَيُّهَا الْقَانِعُ دُوداً فِي تَرَابٍ
أَيُّهَا السَّادِرُ فِي لَهْوٍ وَدَذٍ
أَنْقِذُوا الْإِنْسَانَ مِنْ هَذَا الرَّدَى

لِيَكُونَ الْحَقُّ فِيهِ خُلُقًا
أَنْتَ فِي الْأَرْضِ عَنْ اللَّهِ وَكِيلُ
قَسَمِ الْأَرْزَاقِ يَوْمَ بِيَدِكَ
وَاحْكُمْنَ بِالْعَدْلِ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ
وَأَزِلْ مَنْ أَرْضَنَا هَذَا الْعَنَاءَ
وَسَلَامٍ وَوَدَادٍ وَإِخْوَاءَ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ يَا مَنْ خُلِقَا
أَنْهَضْنِ يَا صَاحِبَ الْعَبَاءِ الثَّقِيلِ
قَدْ قَضَى الْخَلْقُ بِالْأَمْرِ إِلَيْكَ
سَطِرْنَ بِالْحَقِّ فِي هَذِي الْبِلَادِ
أَنْقِذِ الْإِنْسَانَ مِنْ هَذَا الشَّقَاءِ
امْلَأِ الْأَرْضَ بِحُبٍّ وَصَفَاءِ

(١) الكون الكبير: القلب.

وَأَنْعَمَنْ بِالْأَمْنِ فِي أَفْيَئِهَا
وَأَمْلَأَنَّ بِالْخَيْرِ آفَاقَ السُّدُنَا
عَلِمَ الْإِيثَارَ وَالزَّهْدَ الْغَنِي
وَهِيَ فِي عَيْنِهِ لَغَوٌّ وَزِيُوفُ
فَعِلَّةٌ فِي الْخَيْرِ أَغْلَى عِنْدَهُ
كُلُّ مَا يَنْفَقُ مِنْهَا مَغْنَمُ
لَا تَسَاوِي ذِلَّةَ الْحَرِّ الْأَبْيَ
إِنَّهَا الْبِرُّ فِي كَفِّ الْكَرِيمِ
وَهِيَ عِنْدَ الْعَارِفِينَ الصَّدْفُ
وَسِعَ الْأَرْضَ جَمِيعاً وَالسَّمَاءَ
أَخَذْنَا فِي الْأَرْضِ كُلَّ الثَّمَرَاتِ
رَبَّمَا أَوْفَى عَلَى أَمَادِهَا
رَابِحاً أَوْ خَاسِراً لَا يَأْبَهُ
فَاكْهَأَ فِي نَعْمَةٍ لَا تَفْسِدُهُ
لَا يُرِيغُ الْبَرْزَاقَ فِيهَا صَاغِراً
مِثْلَ مَا يُفْزَعُ مِنْ قَدِّ لُسْعَا
وَاسْتِثَارَ النَّارِ مِنْ عَزَمَتِهِ
وَإِذَا الْحَلَمُ ضَرَابٌ وَطِعَانُ
فَارَقَ الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ إِيَابِ
وَحَيَاةَ الْحَرِّ فِي ذِلَّتِهِ

وَأَحْكَمَنْ بِالْحَقِّ فِي أَرْجَائِهَا
وَأَمْلَأَ الْآفَاقَ حَقّاً وَسَنّاً
عَلِمَ الْإِيمَانَ وَالْحَقَّ الْعَلِيَّ
زَهْدٌ مَنْ يَمْلِكُ آلَافَ الْآلُوفِ
قَوْلَةٌ فِي الْحَقِّ أَغْلَى عِنْدَهُ
كُلُّ مَا يَمْسُكُ مِنْهَا دَرَاهِمُ
هَذِهِ الْأَمْوَالُ جَمْعاً يَا بَنِي
إِنَّهَا اللَّعْبَةُ فِي عَيْنِ الْحَكِيمِ
جَوْهَرٌ يَحْسَبُ مَنْ لَا يَعْرِفُ
إِنَّمَا الْجَوْهَرُ قَلْبٌ قَدْ أَضَاءَ
لَا يَعَافُ الْحَرُّ أَكْلَ الطَّيِّبَاتِ
رَبَّمَا اسْتَوْلَى عَلَى أَعْدَادِهَا
أَخَذْنَا أَوْ مَعْطِياً لَا يَسْخَرُهُ
عَبْدُ الدُّنْيَا وَلَا تَسْتَعْبِدُهُ
حَائِماً لِلرِّزْقِ صَقِراً طَائِراً
فَإِذَا شَيْمٌ هَوَاناً فَزَعَا
وَاسْتَمَدَّ الْعِزَّ مِنْ هَمَّتِهِ
فَإِذَا الْمَاءُ لَهَيْبٌ وَدُخَانُ
وَإِذَا سُدَّ عَلَيْهِ كُلُّ بَابِ
إِنْ مَوْتَ الْحَرِّ فِي ذِلَّتِهِ

قال لي شيخ وقور ألمعي
 كنت يوماً في عيون ونخيل
 ومعني من أهل نجد نقر
 وإذا صقر علينا حلّقنا
 أسرع الرفقة في نصب الشوك
 وهوى فانقض هذا الأجدل
 فطوى سقطيه هذا المهلك
 وأتى الصياد للطير الأسير
 سابح الجو بخيط علقنا
 ذلك الصياد في جو السماء
 قاهر الجو بعزم وجناح
 ضاقت الأجواء عنه مسرحاً
 ثم قال الشيخ جئنا ننظر
 فإذا دمعته عين هامله
 ذا يسمي «الحر» من بين الصقور
 فكن الصقر الأبى العاليا
 واحذرن يا حرّ هذي التهلكة
 إنها معركة للأبطال
 في وغاها كل حزم ضيعة
 لا تغرنك مرايا بارقنه

من بني ينيع شهيم عربي
 في القرى من ينبع النخل الجميل
 اصطياد الطير فيهم وطر
 سابحاً في جوه قد خفقا
 وسماني وضعوها في الشبك
 بل هوى هذا القضاء المنزل
 وثوى في حبله يرتبك
 عينه في اللوح لكن لا يطير
 ذلك الخفاق فيه أخفقا
 صاده بالختل صياد القضاء
 بدّل الشباك من متن الرياح
 كيف يرضى في إصار مطرحاً؟
 لنرى الأجدل أتى يؤسر
 وإذا المهجّة فيها سائله
 لا يطيق الأسر من بين الطيور^(١)
 وكن الحرّ الكريم الأيا
 احذرن من خوض هذي المعركة
 ضلّ في غوغائها ذو الفطن
 غاب عنها العقل والقلب معا
 وفنون وعلوم خارقه

(١) الحرّ: نوع من الصقور قل أن يعيش بعد إمساكه.

إنها رأس بلا قلب يسير قد أضلّ الغيّ هذي الأمما
فدعاهها في ظلام تصطدم ورماها في ضلالٍ تحت قدم

الشيوعية

أحدثُ الدَّعوات في هذي الأمم تسلكُ الإنسان في سلكِ الغنم
تعدُّ الإنسان بالمرعى الخصب فيه عُشبٌ ورُغاءٌ ونَّيب
تعدُّ الإنسان أعشابَ الرِّيع ثمَّ عيشٌ مثل ما عاش القطيع
يوعدُ المرعى ولا شيء له وعصا الرّاعي تربيته أكله
ليس يرغو سرُّهم: أين المسير لا، ولا يثغو إلى أين المصير
ويتمُّ الشَّبه فيه بالغنم قطعه عن منبع الخير العنيم
كفره بالله والخير وما فيه إنسانٌ عن العُجم سما
وضياع البيت منه والرحم وحنان القلب من أخت وأم
كافرٌ بالله لا بالوثن كافرٌ بالسَّلم لا بالفتن
يصر الظُّلمة عند الصُّنم عن ضياء الله والحقِّ عمي
كلُّ ما في البيت من ودٍ وحبِّ لا يساوي عنده مكيالُ حَبِّ
كلُّ ما يدعو أناسٌ بالشُّعور لا يساوي عنده كفُّ شعير
ذاكمُ السَّيرُ وهذا المنتهى أنعموا التفكير يا أهل النُّهى

إقبال

بَيْنَ الإِقْبَالِ مِنْ سِرِّ الْحَيَاةِ وَأَزَالَ السِّتْرَ عَنْ نَوْرِ النِّجَاةِ
 بَيْنَ الإِقْبَالِ مِنْ سِيرِ الزَّمَانِ وَأَفَاضَ النُّورَ مِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ
 بَثَّ فِي النَّفْسِ كَلَاماً مِنْ شَرَرٍ مِنْهُ عَشِقُ الْحَقِّ فِي الْقَلْبِ اسْتَعْرَ
 فَتَقَتِ نَظَرَاتُهُ كُلَّ حِجَابٍ فَرَأَى الدَّوْحَةَ مِنْ تَحْتِ الثُّرَابِ
 ضَاقَتِ الْآفَاقُ عَنْ نَظَرَاتِهِ ضَجَّتِ الْأَفْلَاكُ مِنْ آثَاتِهِ
 وَصَلَتْهُ نَفْحَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَتَجَلَّى نَوْرُهُ فِي قَلْبِهِ
 قَدْ ثَوَى فِي قَلْبِهِ كُلَّ الْجِهَاتِ وَاسْتَوَى فِي فِكْرِهِ مَاضٍ وَآتٍ
 سَالَ فِي أَلْحَانِهِ دَمْعٌ وَدُمٌّ وَالتَّقَى الْمَاءَ عَلَيْهَا وَالضُّرْمَ

يَا بَرُودَ الْقَلْبِ خُذْ مِنْ نَارِهِ فَالْحَيَاةُ الْحَقُّ فِي أَشْعَارِهِ
 يَا مَوَاتَ الْقَلْبِ خُذْ مِنْ رَجْعِهِ ^(١) يَا جَمُودَ الْعَيْنِ خُذْ مِنْ دَفْعِهِ
 يَا صَغِيرَ الْهَمِّ خُذْ مِنْ هَمَّتِهِ يَا كَلِيلَ الْعِزِّ خُذْ مِنْ عِزْمَتِهِ
 يَا أَسِيرَ الْيَأْسِ خُذْ أَمَالَهُ فِي دَجَى الْيَأْسِ أُثِرَ أَقْوَالُهُ
 أَيُّهَا الْمُسْلِمُ صَعِدْ فِي السَّمَاءِ وَابْلُغْ فِي جَوْهَا أَعْلَى الْعِلَاءِ
 وَخُذِ الْإِقْدَامَ مِنْهُ وَالطَّمَّاحَ وَجَنَاحاً قَاهِراً هُوجَ الرِّيَّاحِ
 ذَا جَلَالِ الدِّينِ مِنْ خَلْفِ الْغُصُورِ قَدْ أَتَى فِي شِعْرِهِ نَارٌ وَنُورٌ ^(٢)
 إِنَّهُ الْإِسْلَامُ فِي عِزَّتِهِ إِنَّهُ الْإِيمَانُ فِي قُوَّتِهِ

(١) الزُّجَعُ: المطر، كماء، جاء في القرآن.

(٢) مَوْلَانَا جَلَالُ الدِّينِ الرَّومِي، وَالشَّاعِرُ يَعْتَرِفُ بِاقْتِدَانِهِ بِهِ.

إِنَّهُ الْقُرْآنُ فِي أَنْوَارِهِ إِنَّهُ الْفَرْقَانُ فِي أَسْرَارِهِ

وَامْضِ يَا بَرْقُ بوجدِي وهيامي أبلغن قبراً بلاهور سلامي
إِنَّ: إقبالاً بلاهور أقام رحمة الله عليه والسلام

دعاء

فالقَّ الإصباح ربَّ المشرقين باسطَ الليل وربَّ المغربين !
أنت في الصُّبح ضياءَ في جمال أنت في الليل ضياءَ في جلال
ناشرَ الشَّمسِ خَضَمًا من ضياء طاوي الذِّرةَ شمساً في خفاء
أنت نورٌ في ظهورٍ وجلاء أنت نورٌ في حجابٍ وخفاء
يا جليساً في دُجى أستاره يا خفياً في ضُحى أنواره
يا أنيساً في قلوب العارفين وحياةً لقلوب الغافلين
يا ضياءَ العين في النور العمم وضياءَ القلب في داجي الظُّلم
قربُك المؤنس في هذي القفار هديك المنقذ في هذي البحار
ناظم الكونِ البليغ المبدعا محسنا مطلعَه والمقطعا
خلَقك الألفاظُ فيه وافيه أمرك الوزن له والقافية ^(١)
كلُّ لفظٍ فيه نُظَّارٌ إليك كلُّ معنى فيه برهانٌ عليك

(١) في القرآن الكريم: (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) [الأعراف: ٥٤].

منك هذا العقل، هذا الثائر
جاوز الأفلاك يسعى نحوكما
منك هذا القلب، هذا الخافق
ذاكر إياك راج كل حين
طالب إياك ساع حائر
يكشف الأستار يبغي وجهكما
في السدياجي منك نور بارق
خفته ذكر وشوق وحنين

اجعلن عقلي ضياءً ثاقباً
واشددن فكري بصدق وسداد
واملأن قلبي بحبٍ وصفاء
وازفعن في الحق صوتي عالياً
واجعلن وجهك قصدي لا سواه
وامنح المسلم قلباً خافقاً
امنحنه العقل والقلب السليم
واجعلنه في البرايا حكماً
اجعلنه قائداً بين البشر
يصدغ الباطل حقاً صائباً
واحبني التوفيق في كل مراد
واحفظنه من شقاقٍ ومراء
وجناني فيه عضباً ماضياً
هونن في عين قلبي ما عداه
واحبه بالعلم عقلاً بارقاً
واهده رب الصراط المستقيم
قاضياً بالعادل إمّا حكماً
هادياً للخير لا يسعى لشر

أنقذ الإنسان من هذي الغم
هدم الإنسان ما قد عمرا
فاهد بالإيمان عقلاً حائراً
أدرِك الناس بحبٍ ووئام
أنجِن من بغيها هذي الأمم
حينما أُمِر عقلاً كفراً
واجعل القلب عليه آمراً
إنك الداعي إلى دار السلام^(١)

(١) في القرآن الكريم: (والله يدعو إلى دار السلام) [يونس: ٢٥].

(١) تمت الترجمة عشية يوم الجمعة السابع من رجب سنة ١٣٧٠ من الهجرة، في مدينة كراچی.
 والله الحمد أولاً وآخراً (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) [البقرة:
 ٣٢]. المترجم الدكتور عبد الوهاب عزام.

طبع هذا الديوان أول مرة باللغة الفارسية عام ١٩٢٣م، وكتب الشاعر فوق
عنوان الديوان: (ولله المشرق والمغرب) [البقرة: ١١٥] وكتب تحته:
«جواب ديوان الشاعر جوته».

وقدّم محمد إقبال هذا الديوان على أنه شعر الفارسية الكامل، لأنه قدم
إلى القارئ اللغة الفارسية في مجموعة من الأشعار تحتوي على مختلف
أقسام الشعر الفارسي من الغزل والرّباعي والبيتي والقطع والمثنوي
وغيرها، ويصادفنا في الديوان الشعر الأخلاقي والحركات السياسية
والاجتماعية لذلك الوقت.

والديوان روضة من الشعر تختلف أزهارها، ونوارها، وضروب النبات
فيها، وألوان وصنوف الريحان فيها وروائحه، جمعت أشات الزهر من
المشرق والمغرب.